سمير التلميذ

للسنة الأولى الوسطى

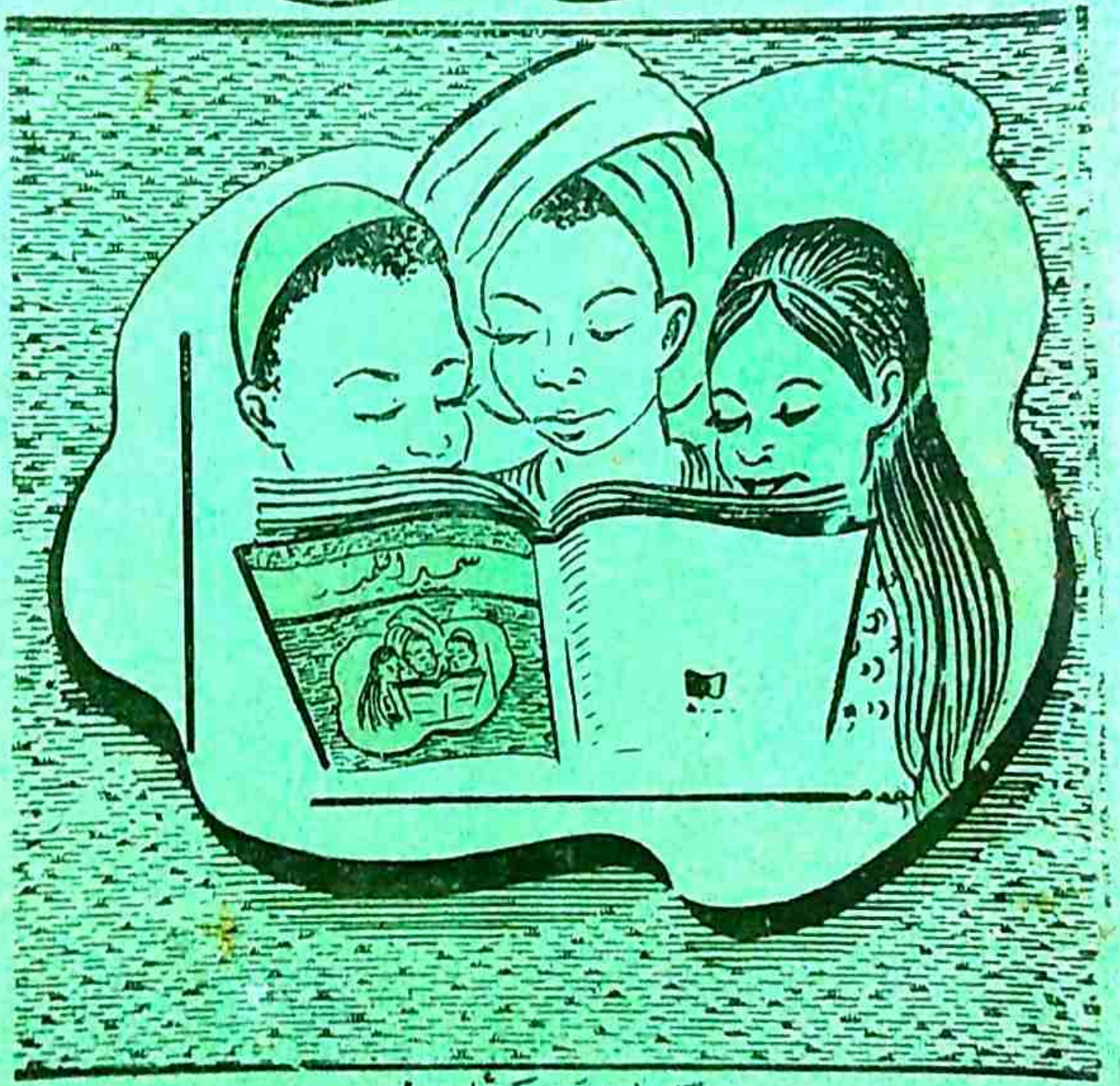

جمع وتأليف

الدكتور عبد الله الطيب بخت الرضا

سمير التلميذ

للسنة الأولى الوسطى

الجزء الأول

جمع ووضع

الدكتور عبد الله الطيب

بخت الرضا

الصور من عمل مسز جريذ لدا الطيب

مكتب النشر

الخرطوم

وزارة التربية والتعليم السودانية نمرة متسلسلة ر ك ١٧٨

الطبعة الاولى سنة ١٩٥٤

الطبعة الثـــانية سنة ١٩٥٦

الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٩

الطبعة الرابعـــة سنة ١٩٦٢

الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٦

الطابعون : المطبعة الحكومية الخرطوم

محتويات الكتاب

صفحة

١ ـ إسلام عمر ٧

٢ ـ حفر زمزم ١٦

٣ ـ سيدنا بلال ٢٠

٤ ـ من أخلاق الجمل . . . ٢٣

٥ ـ الكنز القاتل ١ . . . . ٢٨

٦ ـ الكنز القاتل ٢ . . . . ٣٠

٧ ـ الكنز القاتل ٣ . . . . ٣١

٨ ـ الكنز القاتل ٤ . . . . ٣٣

٩ ـ الكنز القاتل ٥ . . . . ٣٤

١٠ ـ الناسك وإبليس ٣٥

١١ ـ أيوب ٤١

١٢ ـ السندباد ٥٢

١٣ ـ أبو الحسن وهرون الرشيد ٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة السَّلامُ على نبيِّهِ وآله وصحبه .

وبَعدُ ، فَهٰذا كتابٌ جديد فى المطالعة ، نَضَعُهُ بَيْنَ يدَيْكَ أيها التِّلميذُ آملين أَنْ تَسْتَفِيدَ منه وتَسْتَمْتِعَ بِهِ.

فإذا فَرَغْتَ مِنْهُ أفْيَسَاكَ بِمُلْحَقاتٍ لَهُ إن شاءَ الله .

شعبة اللغة العربية

بخت الرضا

إسلامُ عُمَرَ

(١)

فتى فِتْيانِ. قُرَيش. يتحرّقُ مِنَ الْغَضَب

حديدُ الطَّبْعِ. وَجِم

كانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ فِتْيانِ قُرَيْشٍ: قَوِيَّ الْبِنْيَةِ، حَدِيدَ الطَّبْعِ، شَدِيدَ الْكَراهِيَةِ لِلْإِسْلامِ والْمُسْلِمِينَ. فَخَرَجَ يَوْماً مِنْ بَيْتِهِ بِمَكَّةَ يُرِيدُ الصَّيْدَ. فَلَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وقالَ لَهُ:

«هَلْ سَمِعْتَ بِمَا حَدَثَ الْبارِحَةَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ؟»

فَقالَ عُمَرُ: «لَا». فَقالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ: «إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ أَمَرَ جَماعَةً مِنْ أَصْحابِهِ أَنْ يُهاجِرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طالِبٍ، وَقَدْ فَعَلُوا» فَوَجَمَ عُمَرُ بُرْهَةً، ثُمَّ قالَ لِلْقُرَشِيِّ: «عُدَّ لِيَ الَّذِينَ هاجَرُوا مَعَ جَعْفَرٍ». فَقالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ: «هاجَرَ فُلانٌ وَفُلانٌ وفُلانٌ»، وَعَدَّ لَهُ جَماعَةً

وكانَ فِي هؤُلاءِ أَصْدِقاءُ حَبِيبُونَ إِلى عُمَرَ. فاغْتاظَ جِدًّا لِفراقِهِمْ. وجَعَلَ يَنْقُرُ الأَرْضَ بِحَرْبَتِهِ وهُوَ يَتَحَرَّقُ مِنَ الْغَضَبِ

(٢)

هَوِّنْ عَلَيْكَ. بَالَى يُبَالِى. شئون

عُمَرُ : قُلْتَ لِى إِنَّ فُلاناً وفُلاناً وغَيْرَهما هاجَرُوا مَعَ جَعْفَرٍ ؟ لاَ خَيْرَ فِى الحَياةِ بَعْدَ فِراقِهِمْ. إِنَّ مُحَمَّداً أَفْسَدَ عَلَيْنا عَيْشَنا، وفَرَّقَ جَماعَتَنا وجاءَنا بِدِينٍ جَدِيدٍ سَبَّبَ بَيْنَنا عَداوَةً

الْقُرَشِىُّ : نَعَمْ، كُلُّ هَذا حَقٌّ.

عُمَرُ إِذَنْ فَلاَبُدَّ لِى مِنْ قَتْلِ مُحَمَّدٍ. لاَبُدَّ لِى مِنْ قَتْلِه، وبِذَلِكَ أُرِيحُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ.

الْقُرَشِى : هَوِّنْ عَلَيْكَ ! هَوِّنْ عَلَيْكَ يَابْنَ الْخَطَّابِ. إِنَّ مُحَمَّداً رَجُلٌ لَهُ بَنُو عَمٍّ مِنْ بَنِى هاشِمٍ وبَنِى أُمَيَّةَ. وهؤُلاَءِ لَنْ يَتْرُكُوكَ تَقْتُلُهُ. وإِنْ قَتَلْتَهُ

فلنْ يَتْرُكوك تَمْشِي عَلى الْارْضِ بَعْدَ ذَلِكَ .

عُمَرُ : لا أُبالِي إِن قَتَلوني بَعْدَهُ ، لأَنّي سَأَكُونُ خَلَّصْتُ مَكَّةَ مِنْ شَرِّهِ وَدِينِهِ الْجَدِيد .

الْقرشِيُّ : هَلْ أَنْتَ رَجُلٌ عاقِلٌ يا عُمَرُ ؟

عُمَرُ : أَرْجُو أَنْ أَكُونَ كذٰلِكَ .

الْقُرشِيُّ : العاقِلُ يَبْدَأُ بِشُئونِ بَيْتِهِ وَنَفْسِهِ قَبْلَ أَن يَدْخُلَ فِي شُئُونِ غيْرِهِ ..

عُمَرُ : ماذَا تَعْنِي ؟

الْقُرشِيُّ : إِنَّكَ تَعْرِفُ ما أَعْنِي . إِنَّ أُخْتَك فاطِمَةَ ، وزَوْجَها ابْنَ عَمِّكَ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ كِلَيْهِما قَدْ أَسْلَمَا . فَلِماذا تَقْتُلُ مُحَمَّداً ؟ اقْتُلْهُمَا بَدْءًا ، ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ فَكِّرْ فِي قَتْلِ مُحَمَّدٍ .

(٣)

يَا لَها مِنْ ... شَجَ . يَشُجُّ . حِينئذ . رَقا الدَّمُ يَرْقَأُ

وَقَعَ هٰذَا الْخَبَرُ وُقُوعَ الصَّاعِقَةِ عَلَى عُمَرَ . أُخْتُهُ أَسْلَمَتْ ، وابْنُ عَمِّهِ قَدْ أَسْلَمَ . يَالَها مِنْ مُصِيبَةٍ !

لاَ بُدَّ أَنْ يَقْتُلَهُما أَوْ يُجْبِرَهُما عَلَى تَرْكِ الإِسْلاَمِ.

هٰكَذَا فَكَّرَ عُمَرُ فِي نَفْسِهِ، وَتَرَكَ الصَّبِيَّةَ.

وَرَجَعَ مِنْ طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ. وَدَخَلَ بِدُونِ أَنْ يَسْتَأْذِنَ. وَكَانَ سَعِيدٌ وَفَاطِمَةُ يَقْرَآنِ شَيْئاً مِنْ لَوْحٍ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ. فَلَمَّا شَعَرَا بِدُخُولِ عُمَرَ أَخْفَيَا اللَّوْحَ. وَلٰكِنَّ عُمَرَ رَآهُما وَهُما يَفْعَلاَنِ ذٰلِكَ. وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ اللَّوْحَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ قُرْآنِ مُحَمَّدٍ. فَسَأَلَهُمَا مُغْضَباً: «مَا هٰذَا الشَّيْءُ الَّذِي أَخْفَيْتُمَاهُ؟» فَقَالاَ: «لَمْ نُخْفِ شَيْئاً».

فَاهْتَاجَ عُمَرُ مِنْ إِنْكَارِهِما. وَضَرَبَ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ، فَأَلْقَاهُ عَلَى الأَرْضِ. وَخَبَطَ أُخْتَهُ خَبْطَةً شَجَّتْ جَبِينَهَا حَتَّى سَالَ الدَّمُ مِنْهُ. فَلَمَّا رَأَى الدَّمَ عَلَى جَبِينِهَا أَشْفَقَ عَلَيْهَا، وَأَخَذَ بِطَرَفِ ثَوْبِهِ وَجَعَلَ يَمْسَحُهُ حَتَّى رَقَأَ. ثُمَّ طَلَبَ مِنْهَا بِصَوْتٍ هَادِئٍ، أَنْ تُخْبِرَهُ بِالشَّيْءِ الَّذِي أَخْفَتْهُ. فَقَالَتْ: «إِنَّهُ لَوْحٌ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ». فَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تُعْطِيَهُ إِيَّاهُ، لِيَنْظُرَ فِيهِ. وَحِينَئِذٍ قَامَ

سَعِيدٌ ، يَنْفُضُ التُّرَابَ مِنْ جِسْمِهِ ، وَقَالَ لِعُمَرَ : « إِنَّكَ كَافِرٌ نَجِسٌ . وَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَمَسَّ كِتَابَ اللهِ » .

وَنَظَرَ عُمَرُ مُنْدَهِشًا إِلَى سَعِيدٍ ، وَهَمَّ أَنْ يَبْطُشَ بِهِ . وَلَكِنَّ فَاطِمَةَ وَقَفَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعِيدٍ ، وَقَالَتْ لَهُ : « يَا أَخِي ، لَا تَلُمْ زَوْجِي عَلَى مَا قَالَهُ . إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ ، وَأَنْتَ كَافِرٌ بِاللهِ ، فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَمَسَّهُ إِلَّا إِذَا تَوَضَّأْتَ وَنَظَّفْتَ جِسْمَكَ » .

وَاحْتَارَ عُمَرُ جِدًّا . ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ :

« سَأَتَوَضَّأُ وَأَتَنَظَّفُ ، ثُمَّ أَنْظُرُ مَاذَا فِي هَذَا اللَّوْحِ . لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا غَرِيبًا جِدًّا . »

(٤)

وَبَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ يَتَوَضَّأُ ، قَالَتْ فَاطِمَةُ لِسَعِيدٍ :

« لَعَلَّ اللهَ يَهْدِي أَخَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ » . وَلَمَّا رَجَعَ عُمَرُ مِنْ وُضُوئِهِ ، أَعْطَاهُ سَعِيدٌ اللَّوْحَ . فَجَعَلَ عُمَرُ يَقْرَأُ بِصَوْتٍ عَالٍ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، طَهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ، إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى . . . . »

ثُمَّ سَكَتَ فَجْأَةً فِي أَثْنَاءِ قِرَاءَتِهِ وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى سَعِيدٍ، وَإِلَى فَاطِمَةَ ، ثُمَّ قَالَ :

« هَذَا كَلَامٌ جَمِيلٌ . هَذَا لَيْسَ بِكَذِبٍ وَلَا بَاطِلٍ . كَمَا تَقُولُ قُرَيْشٌ. هَلْ كُلُّ الْقُرْآنِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ، مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ ؟ » .

سَعِيدٌ وَفَاطِمَةُ : نَعَمْ ، إِنَّهُ كَلَامُ اللهِ .

عُمَرُ : آمَنْتُ بِاللهِ . سَأَذْهَبُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأُخْبِرُهُ أَنِّي آمَنْتُ بِاللهِ ، وَآمَنْتُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ،

سَعِيدٌ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ . وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ .

عُمَرُ : سَأَقُولُ ذَلِكَ حِينَ أَلْقَى مُحَمَّدًا .

وَخَرَجَ عُمَرُ مُسْرِعًا ، حَتَّى بَلَغَ الْبَيْتَ ، الَّذِي كَانَ يَتَعَبَّدُ فِيهِ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ . وَكَانَ فِي الْبَيْتِ رَسُولُ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَمْزَةُ عَمُّهُ ، وَعَلِيٌّ ابْنُ عَمِّهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَجَمَاعَةٌ آخَرُونَ .

وَطَرَقَ الْبَابُ طَرْقًا شَدِيدًا ، وَسَمِعُوا مِنْهُ صَوْتًا :

افْتَحُوا الْبَابَ . أَنَا عُمَرُ » . وَقَالَ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ : « إِنَّ عُمَرَ شِرِّيرٌ كَبِيرٌ . لاَ تَفْتَحُوا لَهُ الْبَابَ » . وَلَكِنَّ حَمْزَةَ قَالَ لَهُمْ بِحَزْمٍ : « دَعُونِي أَفْتَحْ لَهُ الْبَابَ . فَإِنْ كَانَ جَاءَ لِخَيْرٍ ، حَمِدْنَا اللهَ . وَإِنْ كَانَ جَاءَ لِشَرٍّ ، قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ الذِي يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَنَا بِهِ » .

(٥)

قَبَضَ عَلَى تَلابِيب . . . لاَ بَأْسَ . بَلَى . وَيْلٌ .

وتَقَدَّمَ حَمْزَةُ إِلى الْبَابِ . وَفَتَحَهُ بِهُدوءٍ . ثُمَّ قَبَضَ عَلَى تَلاَبِيبِ عُمَرَ ، حَتَّى كَادَ يَخْنُقُهُ . وَقَالَ لَهُ بِصَوْتٍ مُغْضَبٍ : « مَاذَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَرُ ؟ » فَأَجَابَ عُمَرُ : « لاَ بَأْسَ ، جَاءَبِي كُلُّ خَيْرٍ إِنِّي جِئْتُ لِأُسْلِمَ » . فَقَالَ حَمْزَةُ : « اللهُ أَكْبَرُ . أَبْشِرُوا يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ . إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ جَاءَ لِيُسْلِمَ » .

وَوَقَفَ عُمَرُ أَمَامَ رَسُولِ اللهِ ، وَقَالَ : « أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ » . فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ بِذَلِكَ

وَسُرَّ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا جَمِيعاً : « اللهُ أَكْبَرُ .. اللهُ أَكْبَرُ » .

وَلَمَّا هَدَأُوا قَلِيلاً قَالَ لَهُمْ عُمَرُ : « لِمَاذَا أَنْتُمْ مُخْتَفُونَ هُهُنَا ؟ » .

فَقَالُوا : « خَوْفاً مِنَ الكُفَّارِ » .

فَقَالَ عُمَرُ : « أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ؟ » .

فَقَالُوا : « بَلَى » .

فَقَالَ : « أَلَيْسَ اللهُ يَكْفِينَا وَيَحْمِينَا ؟ »

فَقَالُوا : « بَلَى » .

فَقَالَ : « فَلِمَاذَا نَخْتَفِي ؟ اللهُ أَكْبَرُ . اخْرُجُوا بِنَا جَمِيعاً نُظْهِرُ إِسْلاَمَنَا . وَوَيْلٌ لِلْكُفَّارِ إِنْ تَعَرَّضُوا لَنَا » .

وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ فِي صَفَّيْنِ ، أَمَامَهُمْ رَسُولُ اللهِ : وَكُلُّهُمْ يَقُولُونَ : « اللهُ أَكْبَرُ » . وَرَأَى الْكُفَّارُ عُمَرَ مَعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ وَهُوَ يَقُولُ : « اللهُ أَكْبَرُ » . فَخَافُوا مِنْهُمْ ، وَهَابُوا أَنْ يَقْرَبُوهُمْ .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمَ فِيهِ عُمَرُ ، أَخَذَ دِينُ اللهِ فِي الظُّهُورِ ، وَأَخَذَ دِينُ الْكُفَّارِ فِي الْهُبُوطِ ، إِلَى أَنِ انْمَحَى وَأَتَمَّ اللهُ نُورَهُ .

حَفْرُ زَمْزَم

(١)

ضَرَّة . يَدِرُّ . دَوْحَة

لَمَّا اخْتَصَمَ سَيِّدُنا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ وَامْرَأَتُهُ سَارَةُ بِسَبَبِ ضَرَّتِها هَاجَرَ أُمِّ سَيِّدِنَا إِسْمَعِيلَ ، خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بِهَاجَرَ وَوَلَدِهَا وَمَعَهُمْ قِرْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ . فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ القِرْبَةِ فَيَدِرُّ لَبَنُها عَلَى صَبِيِّها حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ فَوَضَعَها تَحْتَ دَوْحَةٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ . فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَعِيلَ حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا جَبَلاً اسْمُهُ كَدَاء ، نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ :

«يا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا ؟ » .

قالَ :

« إِلَى اللهِ ! »

قالَتْ :

« رَضِيتُ باللهِ »

فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ القِرْبَةِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا ،
حَتَّى إِذَا فَنِيَ الماءُ قَالَتْ فِى نَفْسِهَا : «لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ
لَعَلِّى أُحِسُّ أَحَدًا ! » .

فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ تَلاًّ اسْمُهُ الصَّفا ، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ
هَلْ تُحِسُّ أَحَدًا ، فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا . فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِيَ
سَعَتْ وَأَتَتِ الْمَرْوَةَ — وَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشْوَاطًا كَمَا يَفْعَلُ
الْحُجَّاجُ .

(٢)

ثمَّ قالتْ : «لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ ما فَعَلَ الصَّبِيُّ» - تَعْنى إِسْمَعِيلَ - فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذا هُوَ فى حالَةِ تَعَبٍ شَدِيدٍ مِنَ العَطَشِ ، وَصارَ كأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ ، فاضْطَرَبَتْ نَفْسُها وقالَتْ : « لَوْ ذَهَبْتُ لَعَلِّى أُحِسُّ أَحَدًا يُعِينُنى فى كُرْبَتِى هَذِهِ » .

فَذَهَبَتْ وَصَعِدَتِ الصَّفا ، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا ، وَجَعَلَتْ تَمْشِى بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَرْوَةِ حَتى أَتَمَّتْ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ، فَلِذَلِكَ يَسْعَى الْحُجَّاجُ الآنَ سَبْعَ مَرَّاتٍ بَيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ . ثمَّ قالَتْ أُمُّ إِسْمَعِيلَ فى نَفْسِها : « لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ ما فَعَلَ وَلَدِى » . فَمَشَتْ نَحْوَهُ ، فَإِذا بِصَوْتٍ . فَقالَتْ لِصاحِبِ الصَّوْتِ - وَلَمْ تَرَهُ - : « أَغِثْ ! أَغِثْ ! إِنْ كانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ » . وَنَظَرَتْ فَإِذا جِبْرِيلُ أَمامَها . فَأَشارَ لَها بِجَناحِهِ . ثمَّ ضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ فانْبَثَقَ الماءُ ، فابْتَعْجَلَتْ أُمُّ إِسْمَعِيلَ ، وَجَعَلَتْ

تَحْفِرُ مَكانَ ضَرْبَتِهِ وَتَغْرفُ وتَسْقِى طِفْلَها وتَشْربُ .

قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما مَعْناهُ :

« رَحِمَ اللهُ أُمَّ إِسْمَعِيلَ . لوْ لَمْ تَسْتَعْجِلْ وتَحْفِرْ لَجَرَى الماءُ مِثْلَ النَّهْرِ وَلَمْ يُحْوِجْ إِلى حَفْرِ بِئرٍ » .

وَهَكذَا شَاءَ رَبُّكَ أَنْ تَكُونَ بِئْرُ زَمْزَمَ فى ذَلِكَ المَكانِ رَحْمَةً لِأَهْلِ مَكةَ وَزُوَّارِ البَيْتِ الحَرامِ .

« بتصرف عن البخارى »

سَيِّدُنَا بِلاَل

(١)

السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ . هُوَ أَنْدَى صَوْتاً

نَاصِع . أَنْصَع . الْعَنَزَةُ

كَانَ بِلاَلٌ مِنْ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلاَمِ . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَذَّنَ فِي الْإِسْلاَمِ . وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ الْأَذَانَ إِلَيْهِ ، حِينَ نُظِّمَتْ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ . وَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ فِي أَنْ قَدْ كَانَ بَيْنَ الْعَرَبِ ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، مَنْ كَانَ أَنْدَى صَوْتاً مِنْ بِلاَلٍ ، وَرُبَّمَا كَانَ بَيْنَهُمْ كَذَلِكَ مَنْ كَانَ أَفْصَحَ مِنْهُ لُغَةً ، وَأَنْصَعَ مِنْهُ مَنْطِقاً . وَلَكِنَّ اللهَ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ . وَقَدْ عَرَفَ رَسُولُ اللهِ لِبِلاَلٍ سَبْقَهُ إِلَى الْإِسْلاَمِ ، وَسَبْقَهُ إِلَى الْأَذَانِ فَجَعَلَهُ صَاحِبَ أَذَانِهِ مَا أَقَامَ فِي الْمَدِينَةِ ، فَإِذَا غَابَ عَنْهَا أَذَّنَ مَكَانَهُ أَبُو مَحْذُورَةَ ، فَإِذَا غَابَ أَبُو مَحْذُورَةَ وَبِلاَلٌ أَذَّنَ

مَكانَهُمَا عَمْرُو بْن أُمِّ مَكْتُوم . وكانَ . بِلاَلٌ يَتَحَرَّى الوَقْتَ بِالأَذَان فَلاَ يُؤَخِّرُهُ . فَإِذَا فَرَغَ مِنْ أَذَانِهِ ، أَقْبَلَ حَتَّى يَقِفَ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللهِ ، لِيُؤَذِّنَهُ ، وَقَالَ : « حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ . الصَّلاَةُ يَا رَسُولَ اللهِ » . ثُمَّ تَنَحَّى ، وَقَامَ يَنْتَظِر حَتَّى إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ، وَرَآهُ بِلاَلٌ أَخَذَ فِى الإِقَامَةِ .

وَكَانَ بِلاَلٌ يَسْعَى بِالْعَنَزَةِ بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللهِ ، فِى الْعِيدَيْنِ وَفِى الاِسْتِسْقَاءِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْمُصَلَّى رَكَزَ الْعَنَزَةَ بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللهِ فَصَلَّى إِلَيْهَا .

(٢)

وَكَانَ النَّبِىُّ يُحِب بِلالا ، وَيُكْبِرُ مِنْ شَأْنِه ، وَيُرِيد أَنْ يُكْبِرَ النَّاسُ مِنْ شَأْنِهِ . جَاءَتْهُ أُسْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ تَطْلُب إِلَيْهِ أَنْ يُزَوِّجَ ابْنَتَهَا مِنْ عَرَبِى سَمَّتْهُ : فَقَالَ لَهُمُ النَّبِىُّ : « فَأَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ بِلال ؟ » فَانْصَرف الْقَوْمُ مِنْ يَوْمِهِم ذَالِكَ ، وَلَمْ يَقُولُوا شَيْئا .

ثُمَّ أَقْبَلُوا مِنْ غَدٍ عَلَى النَّبِىِّ فَطَلَبُوا إِلَيْهِ مَا طَلَبُوا

أَمْسِ . فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ أَمْسِ : « أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ بِلاَلٍ ؟ » فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ ، وَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا . ثُمَّ أَقْبَلُوا مِنَ الْغَدِ فَطَلَبُوا إِلَيْهِ مَا طَلَبُوا إِلَيْهِ أَمْسِ وَأَوَّلَ مِنْ أَمْسِ . فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى وَفِي الثَّانِيَةِ : « أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ بِلاَلٍ ؟ » ثُمَّ زَادَ : « أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ » فَزَوَّجُوهُ .

وَعَرَفَ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ لاَ يُمَايِزُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَمَا يُقَدِّمُونَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ . وَأَكْبَرَ النَّاسُ بِلاَلاً كَمَا أَكْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ، حَتَّى كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : « أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا » ، يَعْنِي بِلاَلاً .

مِنْ أَخلاقِ الجَمَل

(١)

قاعِدَة . سِياحَتي . كَلْكَلٌ . تاهَ . الإبلُ المُسِنَّة المزايا . جَليلةَ الشَّأن . تربَّصَ . الدَّليل . يَنْبَثِقُ الخِلالُ الحميدة . يَنْقَضُّ . البَيْداء . المِشْفَر

قامَ المرحومُ أَحمدُ حَسَنين باشا ، بِرِحْلة طَويلة فى صَحْراءِ ليبْيا مِنَ السَّلُّومِ ، على شاطىءِ البَحْرِ الأَبْيضِ المُتَوَسِّط ، إِلى مَدِينَةِ الأُبَيِّض ، قاعِدَةِ كُرْدفان ، وكانت هذه الرِّحْلةُ فى النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ثَلاثٍ وعِشْرين وتِسْعمائة وأَلْفٍ للميلاد . وبَعْدَ انْتِهاءِ الرِّحْلةِ كَتَبَ وَصْفاً لها فى كِتابٍ مِنْ جُزْئَيْنِ سَمَّاهُ « فى صَحْراءِ لِيبْيَا » . وَفى هَذا الكِتَابِ يَذْكُرُ شَيْئاً عَنْ أَخْلاقِ الجَمَلِ نَذْكُرُ لَكَ مِنْه بَعْضَهُ فِيما يَلى بتَصَرُّف :

« إِنَّ سِياحَتي فِي الصَّحْراءِ الغَرْبيَّةِ عَلَّمَتْنى دُرُوساً

جليلةَ الشَّأنِ ، عَظِيمةَ الفَائدةِ . وقَدْ تكشَّف لِي فى هَذِهِ السِّيَاحةِ كثير مِنْ خِلالِ الجَمَل الْحَمِيدةِ ، وأَدْرَكْتُ خِبْرَتَهُ لِساكنِ الصَّحْراءِ ، والمُسافِرِ فِيها . فَهُوَ ذَكِيٌّ كالْجَوادِ أو أَذْكى مِنْه ، ويَزِيدُ عَلَى الْجَوادِ بأَنَّهُ أَطْيبُ قَلْباً ، وأَجْمَلُ صَبْراً .

ويَسْتَطِيعُ أَنْ يُسافرَ فى الشِّتاءِ أُسبوعَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذُوقَ الماء . وقدْ يَصْبِرُ عَلَى العَطَشِ فى الصَّيْفِ اثْنَىْ عَشَرَ يَوْماً . وهُوَ يَقْنَع بِمَا يُصَادِفُه فى الصَّحْراءِ مِنْ عُشْبٍ ، أَوْ تَمْرٍ جافٍّ ، أَوشَعِير .

وسُكانُ الصَّحْراءِ يَضْرِبون بِه المَثَل فى الصَّبْرِ ، فَيقُولُون : هَذَا الرَّجُلُ صَبورٌ كالجَمَل .

(٢)

واتَّفَقَ ذاتَ يَوْمٍ أَنْ رأَيْتُ جَمَلاً رَمَى بِرِجْلِه تَحْتَه وأَلْقَى عَلَيْهِ كَلْكَلَهُ ، ولَمْ يَتْرُكْهُ حتى صارَ جُثَّةً هامِدةً ، فَفَزِعْتُ مِنْ هَذا الحادِثِ . وقَدْ عَلِمْتُ فِيما بَعْدُ أَنَّ

الجَمَلَ حَيَوان مُنْتقم جَبَّار، وأَنهُ إِذَا أُوذِىَ صَبَرَ ، واحْتَمَلَ إِلى حين ، فإذا تكَرَّرَ الإِيذاءُ فكرَ فِى الانْتِقام وَتَرَبَّصَ حتَّى يَنْتَهِزَ فُرْصَةً مُناسِبَةً يَخلو فِيها بعَدُوِّه ، ثم يَنْقَضُّ عَلَيْهِ . وَيَبْرُكُ فَوْقَهُ وَيَقْتُلُه عَضّاً وضَرْباً بأَخْفافِهِ . وربَّما يُلْقِيهِ عَلَى الأَرْضِ وَيَبْرُكُ فَوْقَهُ حَتَّى يَموتَ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَكاءِ الجَمَلِ أَنَّهُ لا يَضِلُّ طَرِيقاً سَلَكَها ، ولوْ طالَ عَلَيْهِ العَهْدُ . وقدْ رَأَيْتُ جَمَلاً أَضْعَفَهُ المَرَضُ ، واشْتَدَّ بِهِ الدَّاءُ ، وانْقَطَعَ أَمَلُنا فى حَياتِه ، فأَشْفَقتُ عَلَيْهِ ونَقَلتُ أَحْمالَهُ إِلى الجِمالِ الأُخْرَى ، وتَرَكْتُهُ فى مكانِه . ولكِنَّى عَرَفتُ أَنَّهُ رَجَعَ إِلى مَوْطِنِه الأَوَّلِ ، الذى تَرَكَهُ ، بَعْدَ مَسيرَةِ ثلاثَةِ أَيَّامٍ .

ورأَيتُ جَمَلاً آخَرَ يَتَقَدَّمُ القافِلَةَ وَيَأْبَى إِلَّا أَن يَسْبِقَ الجِمَالَ الأُخْرَى ، فَعَجِبْتُ لِذَلِك . وزالَ عَجَبى حِينَما رأَيتُهُ يَنْتَهى بنا بَعْدَ أَربَعةِ أَيامٍ إِلى بِئرٍ كانَ قَدْ شَرِبَ مِنها مُنْذُ أَربَعِ سِنِينَ .

وأَعجبُ مِنْ هَذا أَنَّ جَمَلاً أَنْقَذَ قافلةً مِنْ هَلاكٍ مُحَقَّقٍ

فقد تاه دليلُها وضلَّ الطَّريقَ ، وسارَتِ القافلةُ في البيداءِ اثْنَيْ عَشَرَ يوْمًا مِنْ غَيْرِ هُدىً ، ونَفِدَ ما كانَ مَعَها مِنَ الماءِ وانْقَطَعَ الرَّجاءُ . وبَيْنَما هُمْ كَذَلِكَ رَأَوْا جَمَلاً مِنْ جِمالِهِمْ يَنْدَفِعُ فَجْأَةً إلى الأمامِ ، ويَتَقَدَّمُهُمْ في طَرِيقٍ ما ، فَتَبِعُوهُ فأَوْصَلَهُم بَعْدَ يَوْمَيْنِ إلى إحْدَى الآبارِ . وتَبَيَّنَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِها قَبْلَ ذَلِكَ بِبِضْعِ سِنِينَ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَكاءِ الجَمَلِ أَنَّنا كُنَّا نَرَى الإِبِلَ المُسِنَّةَ المُحَمَّلَةَ بالماءِ ، تَنْتَحِي بَعِيداً مِنْ مَكانِ الازْدِحامِ خَوْفًا على القِرَبِ أَنْ تَنْبَثِقَ فَيَنْفَجِرَ الماءُ .

وَقَدْ اخْتَرْتُ جَمَلاً لِحَمْلِ خَيْمَتِي وَكُتُبِي وأَدَواتِي العِلْمِيَّةِ فَمَكَثْتُ أَراهُ كُلَّ يَوْمٍ في مَطْلَعِ النَّهارِ يأْتِي إلى خَيْمَتِي ، ثُمَّ يَبْرُكُ قَرِيبًا مِنْها انْتِظارًا لِوَضْعِ الأَحْمالِ فَوْقَ ظَهْرِهِ ، وكانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إشارَةٍ أَوْ تَكْلِيفٍ .

(٣)

وَلاشَكَّ أَنَّ سَنامَ الجَمَلِ وأَخْفَافَهُ وضَخَامَةَ جِسْمِه، وَطُولَ عُنُقِهِ وانْشِقاقَ مِشْفَرِهِ الأَعْلَى ويُسْرَ حَرَكَةِ هـذا المِشْفَرِ، معَ قُدْرَةِ الجَمَلِ عَلى فَتْحِ أنفِهِ وَإِغْلاقِهِ بإِحْكامٍ - كلُّ هَذِهِ المَزايا وَالْخصائص جعَلتِ الجَمَلَ الْحَيوانَ الوَحيدَ الذى يَصْلُحُ لقَطْعِ الصَّحْراءِ".

الكنز المقاتل

(١)

أُلْفة ألفوا . ألْفى . غنيمة

قائِل . قال يَقِيلُ . لَبِثَ لَبَّثَ

ثَلاثَةٌ مَرَّةً تَلاقَوْا بَدْرٌ وَعُثْمانُ والبَشِيرُ
فَقالَ بَدْرٌ: «أُرِيدُ مِصْرَا فالمالُ فِيهَا قالُوا كَثِيرُ»
وقالَ عُثْمانُ: «إنَّ أَرْضَ الغِنَى هِيَ الشَّامُ وَهِيَ قَصْدِي»
«بَغْدادُ!» قالَ البَشِيرُ: «مَا فِيكُمُ فَتًى مُبْعِدٌ كَبُعْدِي»
تَرافَقُوا فِي الطَّرِيقِ صَحْباً فِي أُلْفَةٍ سَمْحَةٍ وَوُدّ
وذَاتَ يَوْمٍ رَأَوْا بَعِيداً لَمْعاً كَما تَلْمَعُ البُرُوقُ
فَأَسْرَعُوا نَحْوَهُ فَأَلْفَوْا كَنْزاً عَظِيماً لَهُ بَرِيقُ
قالُوا: «مِنَ اللهِ ذَا أَتانَا رَحْمَتُهُ جَمَّةٌ عَمِيمَه
إذَا اقْتَسَمْناهُ كانَ كُلٌّ مِنَّا لَهُ قِسْمَةٌ عَظِيمَه
وصَارَ كُلٌّ مِنَّا غَنِيّاً فَيَالَذَا الكَنْزِ مِنْ غَنِيمَه

تقاسَموا الآنَ واحْذرُوا أنْ يَرَاكمُ النَّاسُ يا صِحَابُ
إذَا رأوْنَا - فَغَيْرَ شَكٍّ - نَصيبُنَا المَوْتُ والتُرَابُ

"يَا إخْوَتِي لبِّثُوا قَلِيلاً فإنَّنَا الآن جَائِعُونَا
وَلَنْ يَرانَا امْرُؤٌ فإنَّ الأنَامَ لا شَكَّ قَاتِلُونَا
قَدْ مَرَّ شَهْرٌ ولَمْ نُصَادِفْ مِنْ أكْلَةٍ تُشْبِعُ البُطُونَا

(قد . قَرِمَ . يَقُولُ هَمْساً . خُطّةٌ أثيمة . الوِزْر)

قَدْ مَرَ شَهْرٌ بِنَا طَوِيلٌ وَقَدْ قَرِمْنَا إلى اللّحَام
فاذْهَبْ إلى السُّوق يابَشِيرُ واخْتَرْ لَنَا أجودَ الطَّعام

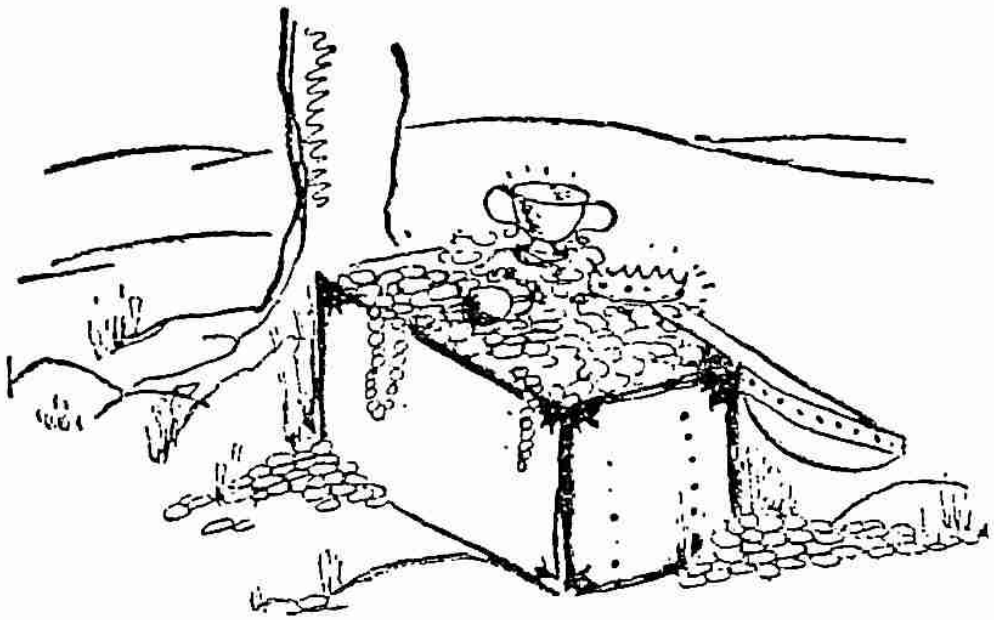

واتَّفَقُوا هَكَذَا فَيَمْضِي مِنْ عِنْدِهِمْ مُسْرِعًا بَشِيرُ
حتَّى إذَا ما مَضَى بَعِيدًا يَكَادُ مِنْ سُرْعَةٍ يَطِيرُ
يَقُولُ بَدْرٌ ـ هَمْسًا ـ « أَعُثْمانُ ؟ » ـ « أي نَعَمْ ! مَا الذِي تُرِيدُ ؟ »
« لِنَقْتَسِمْ كَنْزَنَا كِلانَا ! » ـ « لَكِنْ بَشِيرٌ ؟ » ـ « صَهْ يا بَلِيدُ

أَثُلْثُ الكَنْزِ فِي نَصِيبِي خَيْرٌ أَمِ النِّصْفُ يا أُخَيّْ ؟
ـ « لَكِنْ بَشِيرٌ إِنْ جاءَ مَا نَقُولُ ؟ » ـ « نَقْتُلُهُ يا غَبِيّْ ! »
نَحْنُ كِلانَا أَشَدُّ مِنْهُ مَعْ أَنَّهُ لَيْسَ بالقَوِيّْ
وَهَكَذَا أَجْمَعَ اللَّئِيمَا نِ يَا لَها خُطَّةً أَثِيمَهْ
أَنْ يَقْتُلاهُ غَدْراً ، فَقُبْحاً لِلوِزْرِ ! مَا أَفْظَعَ الجَرِيمَهْ !

(٣)

أَضْمَر . حَبَّذَا . الْجُرْم . صدام

أَمَّا بَشِيرٌ فَكَيْفَ يَدْرِي ما أَضْمَرَتْهُ لَهُ الغُيُوبُ
فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « نَصِيبِي ثُلْثٌ . فَلاَ حَبَّذَا النَّصِيبُ
لأَقْتُلَنْ صَاحِبَيَّ حَتَّى يَكونَ لِي الكَنْزُ ، ذَا رَهِيبُ
القَتْلُ جُرْمٌ وأَيُّ جُرْمٍ حَرَّمَهُ اللهُ فِي القُرَانِ
وإِنَّ بَدْراً وإِنَّ عُثْمَانَ لِي صَدِيقَانِ مُخْلِصَانِ
خَيْرٌ لَكَ الكَنْزُ لا تَزِدْهَا فالمَالُ عَوْنٌ عَلَى الزَّمَانِ

اقْتُلْهُمَا الآنَ ، لا تُفَكِّرْ فَرَبُّنا يَغْفِرُ الذُّنُوبَا
اقْتُلْهُمَا الآنَ ثُمَّ صَمِّمْ مِنْ بَعْدِ ذَا الجُرْمِ أَنْ تَتُوبَا

فَالْكَنْزُ خَيْرٌ بِلاَ شَرِيكٍ وَصَاحِبُ الكَنْزِ كَالأَمِيرِ
لَكِنَّنِي مُفْرَدٌ ضَعِيفٌ وَلَيْسَ لِي قَطُّ مِنْ نَصِيرِ
وَلَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى اثْنَيْنِ لَيْسَ ذَا الأَمْرُ بِاليَسِيرِ

دَعْنِي أُفَكِّرْ ! دَعْنِي أُفَكِّرْ ! هَلْ أَنَا صَاحٍ أَوْ فِي مَنَامِ ؟
يَا لَكِ مِنْ فِكْرَةٍ أَرَاهَا أَنْ أَضَعَ السُّمَّ فِي الطَّعَامِ
سَآخُذُ الكَنْزَ غَيْرَ شَكٍّ بِلا ضِرابٍ وَلاَ صِدَامِ

سَآخُذُ الكَنْزَ بَاحْتِيَالِي فَالكَنْزُ كَنْزِي وَالمَالُ مَالِي
سَأَقْتُلُ اثْنَيْنِ بِاحْتِيَالِي بِلا ضِرَابٍ وَلاَ قِتَالِ

صَيْدَلى . شرِس . نُيوب . غَيْرَ
مكر . يَفْرِى حَشاها . بَيعَ وكْس

ثُمَّ أَتَى بَيْتَ صَيْدَلِىٍّ شَيْخٍ عَجُوزٍ عَلاهُ شَيْبُ
وقالَ : « بِعْنِى سُمّاً قَوِيّاً سُمّاً شَدِيداً ما فِيهِ عَيْبُ
عِنْدِى كِلابٌ لَهَا نُيُوبٌ مِثْلُ الشَّياطِين ، لَوتَرَاهَا
قَدْ سَعِرَتْ كلُّها وَيَشْكو جَميعُ جيرَانِنا أَذاهَا
ولَسْتُ أَدْرِى مِنها خلاصًا بغير سُمٍّ يَفْرِى حَشاهَا
كَذَاكَ فِيرانُنا شِرَاسٌ قَدْ أَفْنَتِ القَمْحَ والشَّعِيرَا
وَخَرَّبَتْ كُلَّ ما لَدَيْنا وشَرَّدَتْ قِطَّنا الكبيرَا »
قالَ لَهُ الشَّيْخُ : « هاكَ سُمًّا لو قَطْرَةٌ مِنْهُ وَسْطَ بَحْرِ
صُبَّتْ ، إِذَنْ أَهْلَكَتْ جَمِيعَ الحِيتَانِ فى البَحْرِ غَيْرَ مُكْرِ
لَكِنَّ بَيْعِى غَالٍ فَجِئْنى بالْمالِ حالاً بِدُونِ عُذْرِ
جِئْنِى بِعَشْرٍ مِنْ فَوقِ عَشْرٍ مِنْ فَوْقِ خَمْسٍ مِنْ فَوْقِ خَمْسِ
مِنَ الجُنَيهاتِ لا تُماطِلْ قَدْ بِعْتُكَ السُّمَّ بَيْعَ وَكْسِ »

(٥)

فى حَوْزَتى . مبيد . جَنْدَلَ .

فأَفْـرَغَ الْمَالَ لا يُبالِي ثُمَّ اشْتَرى السُّمَّ سُدْسَ رَطْلِ
ومَا ثَلاَثُونَ ؟! إنَّ فِى الكَنْـزِ أَحْمَرَ المَالِ مِثْلَ تَلِّ
ثُمَّ اشْتَرَى مَطْعَمًا شَهِيًّا وقالَ : «إنِّى ماضٍ لِفِعْلِى»
وقَالَ : «لِى المالُ عَنْ قَرِيبٍ فِى حَوْزَتِى كُلَّه أَرَاهُ !»
ماكانَ يَدْرِى المِسْكِينُ ماذَا دَبَّرَ فِى الغَيْبِ صَاحِباهُ
لمَّا أَتَى بالطَّعامِ قامَا إلَيْـهِ حَـالاً وجَنْـدَلاَهُ
ثَمَّتَ قَامَا إلى الطَّعَامِ والسُّمُّ فِيه لَـوْ يَعْرِفانِ
فأَكَـلاَ أَكْلةً فَصَارَتْ كالنَّارِ تَشْوِى بِلا دُخَانِ
ثَلاَثَةٌ أَصْبَحُـوا تُرابًا مِـنْ طَمَـعٍ مُهْلِكٍ مُبِيدِ
ماتُوا جَميعًا والكَنْزُ باقٍ يَلْمَعُ كالبَرْقِ مِـنْ بَعِيدِ

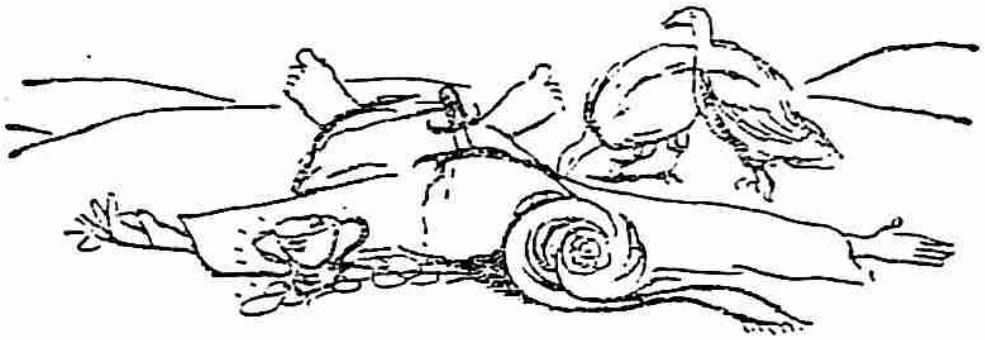

الناسك وإبليس

النَّاسِك . حَالَ بينه وبينَ . . . . الضَّلال . يُصْغُونَ
وَسْوَسَة . السَّطْوة . الصَّوْمَعَة . لَسْتُ آلو جهداً
يَتَضَرَّع . الْحَشْرَجَة . تعاهدا . تَعَاهَدُوا
المارِد . جَثَم . مَزْهُوّ

اتَّخَذَ قَوْمٌ شَجَرَةً يَعْبُدُونَها مِنْ دُونِ اللهِ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ ناسِكٌ مُؤْمِنٌ ، فَحَمَلَ فأْساً وَذَهَبَ إِلَى الشَّجَرَةِ لِيَقْطَعَها . فَلَمْ يَكَدْ يَقْتَرِبُ مِنْهَا حَتَّى مَثَلَ إِبلِيسُ أَمَامَهُ ، فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّجَرَةِ ، وجَعَلَ يَصِيحُ به :

ـ مَكانَكَ أَيُّها الرَّجُل . لِمَاذَا تُرِيدُ قَطْعَهَا ؟

ـ لأَنَّها تُضِلُّ النَّاس .

ـ ومَالَكَ وَلَهُمْ ؟ أُتْرُكْهُمْ فِي ضَلاَلِهِمْ .

ـ كَيْفَ أَتْرُكُهُمْ وَمِنْ وَاجِبِي أَنْ أَهْدِيَهُمْ ؟

- مِنْ وَاجِبِكَ أَنْ تَتْرُكَ النَّاسَ أَحْرَاراً ، يَفْعَلُونَ مَا يُحِبون .

- إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَحْرَارٍ لأَنَّهُمْ يَصْغُونَ إِلَى وَسْوَسَةِ الشَّيْطَان .

- أَتُرِيدُهُمْ أَنْ يُصْغُوا إِلَى صَوْتِكَ أَنْت ؟

- كَلاَّ . أُرِيدُهُمْ أَنْ يُصْغُوا إِلَى صَوْتِ الله

- لَنْ أَدَعَكَ تَقْطَعُ هَذِهِ الشَّجَرَة .

- لاَبُدَّ لِي أَنْ أَقْطَعَهَا ، فافْعَلْ مَا بَدَا لَك .

فَأَمْسَكَ إِبْلِيْس بِخِنَاقِ النَّاسِك وَقَبَضَ النَّاسِكُ بِقَرْنِ الشَّيْطَانِ وَتَصَارَعَا طَوِيلاً .... ثُمَّ انْجَلَتِ الْمَعْرَكَةُ عَنِ انْتِصَارِ النَّاسِكِ ، إِذْ قَدْ طَرَحَ الشَّيْطَانَ عَلَى الأَرْضِ وَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ لَه :

أَرَأَيْتَ سَطْوَتِي أَيُّهَا الكَافِرُ ؟

- مَا كُنْتُ أَحْسَبُكَ قَوِيًّا هَكَذَا . خَلِّ عَنِّي مِنْ فَضْلِكَ وَافْعَلْ بِالشَّجَرَةِ مَا تَشَاءُ . فَخَلَّى النَّاسِكُ عَنْ إِبْلِيسَ . وَكَانَ الْجُهْدُ الَّذِي بَذَلَه فِي الصِّرَاعِ قَدْ بَلَغَ مِنْهُ مَبْلَغاً عَظِيماً .

فَرَجَعَ إِلَى صَوْمَعَتِهِ واسْتَرَاحَ لَيْلَتَهُ .

وَفِى اليَوْمِ التَّالِى حَمَلَ فأْسَهُ وَذَهَبَ يُرِيدُ قَطْعَ الشَّجَرَةِ . وإِذَا بِإِبْلِيسَ يُوَاجِهُهُ مِنْ خَلْفِهَا وَيَصِيحُ بِهِ :

ـ أَعُدْتَ اليَوْمَ أَيْضًا لِقَطْعِهَا ؟

ـ قُلْتُ لَكَ لاَ بُدَّ لِى مِنْ قَطْعِهَا ؟

ـ أَتَظُنُّكَ قَادِراً عَلَى أَنْ تَغْلِبَنِى اليَوْمَ أَيضًا ؟

ـ لَنْ آلُوَ جُهْدًا فِى مُقَاتَلَتِكَ حَتَّى أُعْلِىَ كَلِمَةَ الْحَقِّ

ـ أَرِنِى إِذَنْ قُدْرَتَكَ !

وأَمْسَكَ بِخِنَاقِهِ . فَأَمْسَكَ النَّاسِكُ بِقَرْنِه . وتَقَاتَلاَ وَتَصَارَعَا ، ثُمَّ أَسْفَرَتِ المَعْرَكَةُ عَنْ سُقُوطِ الشَّيْطَانِ مُجَنْدَلاً طَرِيحاً تَحْتَ قَدَمَى النَّاسِكِ . فَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ وَجَثَمَ ثُمَّ قَالَ لَه :

ـ كَيْفَ تَرَى الآنَ قُوَّتِى ؟

ـ حَقًّا إِنَّكَ لَقَوِىٌّ جَبَّارٌ . خَلِّ عَنِّى بِرَبِّكَ وافْعَلْ بِالشَّجَرَةِ مَا تُرِيد . وجَعَلَ الشَّيْطَانُ يَتَضَرَّعُ إِلَى النَّاسِك بِصَوْتٍ خَاشِعٍ مُتَقَطِّعٍ مُحَشْرَجٍ مَخْنُوق . فَرَقَّ النَّاسِكُ

لَهُ وَخَلَّى سَبِيلَه ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلى صَوْمَعَتِهِ وَاستلقَى مِن التَّعَبِ وَالإِعْياءِ .

فَمَا زَالَ نائِماً حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ وَطَلَعَ الصُّبْحُ . فَعَمِلَ النَّاسُ وَذَهَبَ إِلَى الشَّجَرَةِ فَبَرَزَ لَهُ إِبْلِيسُ وَصَاحَ فِي وَجْهِهِ :

ـ أَلَنْ تَرْجِعَ عَنْ عَزْمِكَ أَيُّها الرَّجُلُ ؟

ـ أَبَداً ... لا بُدَّ لِي مِنْ قَطْعِ دَابِرِ هَذَا الشَّرِّ .

ـ أَتَحْسِبُ أَنِّي سَأَتْرُكُكَ تَفْعَلُ ذَلِكَ .

ـ إِنْ صَارَعْتَنِي فَإِنِّي سَأَغْلِبُكَ .

ـ أَتَعْرِفُ لِمَاذَا أُعَارِضُكَ فِي قَطْعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ؟ أَنَا يَا مَوْلاَيَ إِنَّمَا أَفْعَلُ ذَلِكَ خَشْيَةً عَلَيْكَ وَرَحْمَةً بِكَ ، لأَنَّكَ سَتُعَرِّضُ نَفْسَكَ بِقَطْعِهَا لِسُخْطِ النَّاسِ مِنْ عِبَادِهَا . وَمَا لَكَ وَهَذِهِ المَتَاعِبَ تَجُرُّهَا عَلَى نَفْسِكَ ؟ دَعْ قَطْعَهَا وَسَأَجْعَلُ لَكَ دِينَارَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ ، تَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى نَفَقَتِكَ وَعِبَادَةِ رَبِّكَ ، وَتَعِيشُ فِي أَمْنٍ وَسَلاَمَةٍ .

ـ دِينَارَيْنِ ؟

ـ نَعَمْ . دِينَارَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ تَجِدُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِكَ .

فأطْرَقَ النَّاسِكُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رأْسَهُ وَقَالَ لإبْليس:

ـ وَمَن يضْمَنُ لى أَنَّكَ سَتَفِى بِوَعْدِك .

ـ أُعاهِدُكَ عَلَى ذَلِكَ وَسَتَعْرِفُ صِدقَ عَهدى .

ـ سَأُجَرِّبُكَ .

ـ نَعَمْ ؛ جَرِّبْنى .

ـ اتَّفَقنا .

وَوَضَعَ إبليسُ يَدَهُ فى يدِ النَّاسِكِ وَتَعاهَدا وانْصَرَفَ النَّاسِكُ إلى صَوْمَعَتِهِ وَجَعَلَ ـ كلَّما أشرَقَ عليْهِ الصُّبْحُ واسْتَيْقَظَ مِن نَوْمِه ـ يَمُدُّ يَدَهُ ويَدُسُّها تحتَ وِسادَتِهِ فيُخْرِجُها وَفيها دِينَارَان . حَتى إذا انْقَضى شهْرٌ كامِلٌ على تِلكَ الحالِ ، وَحَسِبَ النَّاسِكُ أَنَّ إبليسَ لَنْ يَخونَهُ ضحا ذَات يَوْمٍ وتَحَسَّسَ الدِّينَارَيْنِ فَلَمْ يَجِدْهما . فَغَضِبَ غَضباً شَديداً . ونَهَضَ فأَخَذَ فأْسَهُ وَذَهَبَ إلى قَطْعِ الشَّجَرَةِ ، فاعْتَرَضَهُ إبليسُ فى الطَّرِيقِ وَصرَخَ فى وجْهِهِ :

إبليس : مَكانَكَ . إلى أينَ ؟

الناسك : إلى الشَّجَرَةِ لأقطعَها .

إبليس : لِماذا ؟ ألأنى قَطَعْتُ عنكَ الدِّينارَيْن ؟

الناسك : أَجَل ! إنكَ خائنٌ غَدَّار .

وانْقَضَّ النَّاسِكُ على إبليسَ وأَمْسَكَ بِقَرْنهِ وَتَصارَعا لَحْظةً . وإذا المَعْرَكةُ تَنْجَلِي عنْ سُقوطِ النَّاسِك تحتَ قَدَمِ إبليس . فقَدِ انْتَصَرَ المارِدُ اللَّعينُ وَجَثمَ على صَدرِ النَّاسِكِ مَزْهُوّاً فَخوراً وجَعَلَ يَقُولُ له :

ـ أَيْنَ قُوَّتُكَ الآنَ أَيُّها الرَّجُلُ ؟

فَخَرَجَ مِنْ صَدْرِ النَّاسِكِ المَقْهورِ صَوْتٌ كالحَشرَجَةِ وَأَنَّ وَهوَ يَقول :

ـ أَخْبِرْنى كيْفَ تَغَلَّبْتَ عَلَيَّ أَيُّها الشَّيْطانُ .

فقالَ لهُ إبليس :

ـ لَمَّا غَضِبْتَ لله غَلَبْتى ، وَلَمَّا غَضِبْتَ لنَفْسِكَ غَلَبْتُكَ .

أيّوب

(١)

يُبْطِرُ . يَرْدَعُ

دَارَ الْحَديثُ بَيْنَ مَلائكَةِ اللهِ عَنِ الْخَلْقِ وَعبادَتِهِمْ وَمَعْصِيتِهِم وطاعَتِهِم ، وقالَ قائلٌ مِنْهُمْ : « ما على الأَرْضِ الْيَوْمَ خَيْرٌ منْ أَيُّوبَ : مُؤْمنٌ ساجدٌ عابدٌ ، بَسَطَ اللهُ في رزْقِه وَمَدَّ فى أَجَلِهِ . فى مالِهِ حَقٌّ مَعْلومٌ لِلسَّائلِ وَالْمَحْرُومِ ، فَهُوَ خَيْرُ مِثالٍ يَحتَذِيهِ الأَغْنِياءُ فى هَذِهِ الدُّنيا » . وَسَمِعَ إِبْليسُ حَديثَهُمْ هَذَا . وَلَمْ يَكنْ مَحْجُوباً عَنْهُمْ . فَساءَهُ أَنْ يَكونَ فى الأَرْضِ رجُلٌ يَعْبُدُ اللهَ كما يَعْبُدُهُ أَيُّوبُ . فَخَفَّ إِلَيْهِ لِيُضِلَّهُ . فَوَجَدَهُ يَتَقَلَّبُ فى النِّعْمةِ وَالثَّراءِ . ومَعَ ذَلِكَ لَمْ يُبْطِرْه الغِنَى وَلَمْ يضِلَّهُ المالُ . يَذكرُ اللهَ لَيْلَ نَهارَ ، وَيَعْطِفُ على أَهْلِهِ وعَبيدِهِ وخَدَمِه وَيُطْعِمُ الجائِعَ وَيَكْسُو العارِيَ وَيَفُكُّ الأَسِيرَ وَلا يَعْبِسُ فى وَجْهِ المُحْتاج

ثمَّ هُوَ يَرْدَعُ الظَّالِمَ وَيُعَلِّمُ الجَاهِلَ ، ويَنْشُرُ العِلْمَ بَيْنَ النَّاسِ .

وَجَدَ إِبْلِيسُ أَيُّوبَ على هَذِهِ الحال . فَحَاوَلَ أَنْ يَقْتَرِبَ منْ قَلبِهِ أَوْ يُوَسْوِسَ إِلَيهِ مِنْ وَراءِ أُذُنِهِ وأَنْ يُزَهِّدَهُ فى العِبَادَةِ ، فَوَجَدَهُ مِنْ عِبادِ اللهِ المُخْلَصِينَ . فَأَحْزَنَهُ ذَلِكَ وساءَهُ .

(٢)

فَرَجَعَ إِلى اللهِ ووقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَما كَانَ يَفْعَلُ قَبْلَ أَنْ يُطْرَدَ مِنَ الرَّحْمَةِ . وقالَ : « رَبِّ ، إِنَّ عَبْدَكَ أَيُّوبَ الَّذِي يَعْبُدُكَ وَيُقَدِّسُكَ ، وَيَهْتِفُ بِذِكْرِكَ صَباحَ مَساءَ لا يَفْعَلُ ذَلِكَ تَطَوُّعاً مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ، إِنَّما يَعْبُدُكَ نِفاقاً وَكَأَنَّهُ يَحْسَبُ عِبادَتَهُ لَكَ ثَمَناً لِما مَنَحْتَهُ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ » . فَلَمَّا سَمِعَ اللهُ كَلامَ إِبْلِيسَ قالَ لَهُ : « إِنَّ أَيُّوبَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ خالِصُ الإِيمانِ ، لا يَعْبُدُنِي لِمالٍ وَلا بَنِينَ وَقَدْ أَبَحْتُكَ أَمْوالَهُ فاجْمَعْ لَها جُنودَكَ وَأَعْوانَكَ ، وَافْعَلُوا بِها ما تُرِيدُونَ ، ثُمَّ انْظُرُوا ما يَكُونُ مِنْ شَأْنِ أَيُّوبَ » .

فَذَهَبَ إِبْلِيسُ يَجْمَعُ الشَّياطِينَ مِنْ أَطْرافِ الأَرْضِ ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِمْ فِي مالِ أَيُّوبَ . فَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْهُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَفْنَوْها ، حَتَّى أَتَوْا عَلَى الْغَنَمِ وَالإِبِلِ ، وَالآتُنِ وَالْعَبِيدِ وَالصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ ، وَالأَخْضَرِ وَالْيابِسِ ، حَتَّى صارَ أَيُّوبُ صِفْرَ الْيَدِ لا يَمْلِكُ مِنْ حُطامِ الدُّنْيا شَيْئاً .

وَبَعْدَ ذَلِكَ تَمَثَّلَ إِبْلِيسُ لأَيُّوبَ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ طاعِنٍ فِي السِّنِّ حَكِيمٍ مُجَرِّبٍ ، وقالَ لَهُ :

«إِنَّ النَّارَ قدْ أَتَتْ عَلَى ثَرْوَتِكَ، وَقَدْ هَلَكَ الزَّرْعُ وَالضَّرْعُ، وَوَقَفَ النَّاسُ يُشَاهِدونَ كُلَّ ذَلِكَ حائِرِينَ مَبْهُوتِينَ، مِنْ قائِلٍ لَوْ أَنَّ اللهَ مُسْتَطِيعٌ حَقًّا أَنْ يَدْفَعَ الشَّرَّ عَنْ أَحَدٍ أَوْ يَجْلِبَ الخَيْرَ إِلى أَحَدٍ لَكانَ أَيُّوبُ أَوْلَى النَّاسِ بِرَحْمَتِهِ، وَمِنْ قائِلٍ إِنَّ اللهَ لَمْ يَفْعَلْ بِأَيُّوبَ ما قَدْ فَعَلَ إِلاَّ لِيُشْمِتَ بِهِ الأَعْداءَ وَيَغِيظَ الأَوْلِياءَ».

(٣)

سَمِعَ أَيُّوبُ هَذَا الْكَلامَ فَلَمْ يُؤَثِّرْ فيهِ وَلَمْ يُغَيِّرْ مِنْ قُوَّةِ عَزِيمَتِهِ. فَقالَ لإِبْلِيسَ: «إِنْ يَهْلِكْ مالي فَإِنَّهُ عارِيَةٌ لِلّهِ اسْتَرَدَّها، وَوَدِيعَةٌ لَهُ كانَتْ عِنْدِي فَأَخَذَها، لَهُ الْحَمْدُ مُعْطِياً أَوْ سالِباً، راضِياً أَوْ ساخِطاً، نافِعاً أَوْ ضارًّا، مالِكَ الْمُلْكِ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشاءُ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشاءُ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشاءُ». ثُمَّ خَرَّ ساجِداً لِلّهِ، وَتَرَكَ إِبْلِيسَ يَكادُ يَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ.

وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَيْأَسْ كُلَّ الْيَأْسِ مِنْ تَضْلِيلِ أَيُّوبَ

فَرَجَعَ إِلى اللهِ وَقالَ لهُ : « رَبِّ إِنَّ أَيوبَ قدْ أَظْهَرَ لى الصَّبْرَ وَلكَ الحَمْدَ وَالشُّكْرَ . وَلكِنِّى أَحْسَبُ أَنَّهُ فَعلَ هَذَا لِأَنَّ لهُ أَبْناءً عِدَّةً يأْمُلُ أَن يَكبُروا فيُساعِدُوهُ فى مُقْبِلِ أَيامِهِ وَيَسْترِدَّ بِهِمْ بعضَ ما ضاعَ منْ مالِهِ وما هَلَكَ منْ ثَرْوَتِهِ . وإِنَّكَ إِنْ سَلَّطتَنى عَلَى أَبْنائِهِ أَفعَلْ بهِمْ ما يُكَدِّرُ ، فَأَنا مُوقِنٌ أَنَّهُ سَيَكْفُرُ بكَ ، لأَنَّ فَقْدَ البَنينَ أَشَدُّ أَلَمًا منْ فقدِ المالِ .

بَعْدَ ذٰلِكَ قَالَ اللهُ لِإِبليسَ : «عَبَثًا تحاوِلُ أَيها اللَّعينُ أَنْ تُضِلَّ عبْدِىَ الصَّالِحَ أَيُّوبَ . ومَعَ هذا فَقَدْ أَذِنتُ لكَ أَن تَفْعلَ ما تشاءُ بأَبْنائِهِ » .

فانْصرفَ الشَّيْطانُ الرَّجيمُ إِلى أَعْوانِهِ وأَخْبَرَهُم بما عَزَمَ عليْهِ من شَرٍّ ونُكْرٍ . فَذَهَبُوا جَمِيعاً إِلى حَيثُ كان يُقيمُ وَلَدُ أَيُّوبَ ، فى قَصْرٍ عَظيمٍ يَكادُ يُناطِحُ السَّحابَ . فانْجَحروا تحتَ القَصْرِ وما زالوا يُزَلْزلونَ بهِ الأَرْضَ حَتى تَداعَى وسَقَطَ . فَهَلكَ وَلدُ أَيُّوبَ عَنْ آخِرِهِمْ .

فَفَرِحَ إِبليسُ بهذا الفِعْلِ الْأَثيمِ ومَضَى إِلى أَيُّوبَ

لِيَنْقُلَ إِلَيْهِ خَبَرَ هَلاكِ أَبْنائِه تحتَ الأَنْقاضِ . فَتَمَثَّلَ لهُ فى شَخْصِ امرأَةٍ عَجوزٍ وَقالَ «لو رَأَيْتَ وُلْدَكَ يا أَيوبُ الْيَوْمَ قَتْلَى مُضَرَّجينَ بالدَّمِ ، مُخْتلِطةً أَشْلاؤُهُمْ بالْحِجارةِ والتُّرابِ ، وهذا مَجْروحٌ وذَاكَ مَشْدُوخٌ إِذنْ لرَأَيْتَ أَمْرًا فَظيعًا وَلَعَلِمتَ أَنَّ اللهَ لَمْ يُكافِئْكَ بِما تَسْتَحِقُّهُ عَلَى عِبَادتِكَ وسَهَرِكَ وقِيامِكَ وصِيامِكَ».

فاسْتَعْبَرَ أَيوبُ وَبَكى شَيْئًا . ثُمَّ كَفْكَفَ دمْعَهُ وَقالَ لإِبليسَ : « اللهُ أَعْطَى واللهُ أَخَذَ ؛ لهُ الحَمدُ مُعْطِياً وسالِباً سَاخِطاً وراضِياً ، نافِعاً وضاراً » . ثُمَّ خَرَّ للهِ ساجداً وتَرَكَ إِبْليسَ يَكادُ يَتَمَيَّزُ منَ الْغَيْظِ .

وَلَم يَيْأَسْ إِبْليسُ منْ تَضْليلِهِ بَعدَ هذا كُلِّهِ . وذَهَبَ إِلى اللهِ وقالَ لهُ : « يارَبَّ العِزَّةِ قدْ بانَ لى أَنَّ المالَ والوَلَدَ كِلَيْهِما لم يُزَعْزِعْ فَقْدُهُما إِيمانَ أَيوبَ . ولكنْ لَيْسَ مَعْنى هذا أَنَّهُ مؤْمنٌ مُخْلِصٌ لكَ . إِنى عَلَى يَقينٍ مِنْ أَنَّهُ يَعْبُدُكَ الآنَ ويَشْكُرُ لَكَ ويَحْمَدُكَ لِسَبَبٍ واحدٍ . إِنَّهُ يُريدُكَ أَنْ تَدَعَهُ فى صِحَّةٍ منْ بَدَنِه وعافِيةٍ . ولَنْ يَزالَ

واسِعَ الأَمَلِ فى الدُّنيا ما دامَ بَدَنُهُ فى صِحَّةٍ . فَسَلِّطْنى عَلَى بَدَنِهِ لأُتْلِفَهُ بالْمَرَضِ . وإِنِّى مُوقِنٌ أَنَّهُ لَوْ مَسَّهُ الدَّاءُ وفَقَدَ العافِيَةَ فى جِسْمِهِ فإِنَّهُ سَيُهْمِلُ عِبادَتَكَ وَسَيَشْغَلُهُ الْمَرَضُ عنْ ذِكْرِكَ . لا ، بَلْ رُبَّما دَفَعَهُ الأَلَمُ إِلَى الْكُفْرِ بِكَ » .

ثُمَّ قَالَ اللهُ لإِبليسَ وهو عالِمٌ جَلَّ جَلالُهُ بمكره وخُبْثِهِ : « اعْتَرِفْ ياخَبيثُ بأَنَّكَ عَجَزْتَ عَنْ تَضْليلِ عَبْدِىَ الصَّالِحِ » . وَلكنَّ إِبْليسَ لِعِنادِهِ وَلُؤْمِهِ أَبَى أَنْ يَعْترِفَ . فَأَرادَ اللهُ أَنْ يَجْعلَ منْ أَيوبَ عَبْداً مُؤْمناً صابراً شاكراً إِيماناً وصَبْراً وشُكْراً لايَشُكُّ فيهِ أَحدٌ ، وأَنْ تكونَ قِصَّةُ صَبْرِه وإِيمانِه عَزاءً وسَلْوَى لِلمُصابين فقالَ لإِبليسَ : « لَقَدْ أَبَحتُ لك جِسْمَ أَيوبَ فافْعَلْ مابَدَا لَكَ » . فَكادَ إِبْليسُ يَطيرُ منَ الفَرَحِ لمَّا سَمِعَ ذلكَ . وخَفَّ مِثْلَ الْبَرْقِ أَوْ أَسْرَعَ منْ ذلِكَ إِلى حَيثُ كانَ أَيوبُ جالِساً يُصَلِّى ويَسْتَغْفِرُ ، فَنَفَخَ فى جِسْمِهِ نَفْخَةً واحدةً فَصَيَّرَهُ مَريضاً سَقيماً عَلَى شَفا الْمَوْتِ .

(٤)

شَاحِبٌ . السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ . فَيُنَعَّى

اعْزُبْ عَنْ . . .

وَلَكِنَّ هَذِهِ الْمُصِيبَةَ لَمْ تَزِدْ أَيُّوبَ إِلا صَبْراً وَإِيماناً . وَطَالَ مَرَضُ أَيُّوبَ حَتَّى ذَهَبَ لَحْمُهُ وَبَدَتْ عِظَامُهُ تَلُوحُ تَحْتَ جِلْدِهِ الشَّاحِبِ . وَفَرَّ عَنْهُ أَصْدِقَاؤُهُ وَجَنَبَهُ أَهْلُهُ وَأَتْبَاعُهُ إِلاَّ زَوْجَهُ الْعَطُوفَ فَإِنَّهَا بَقِيَتْ إِلَى جَانِبِهِ تُخَفِّفُ عَنْهُ آلامَ مَرَضِهِ بِرِعَايَتِهَا وَعِنَايَتِهَا وَحَدِيثِهَا الْعَذْبِ ، وَتُقَاسِمُهُ الضَّرَّاءَ كَمَا قَاسَمَتْهُ السَّرَّاءَ مِنْ قَبْلُ ، لاَ تَشْكُو وَلاَ تَتَبَرَّمُ .

أَمَّا إِبْلِيسُ فَقَدْ أَعْيَاهُ أَمْرُ أَيُّوبَ ، وَحَيَّرَهُ مَا كَانَ يَرَاهُ مِنْ صَبْرِهِ وَقُوَّةِ إِيمَانِهِ . فَجَمَعَ أَعْوَانَهُ وَأَخَذَ يُشَاوِرُهُمْ عَسَى أَنْ يُرْشِدُوهُ إِلَى حِيلَةٍ يَتَغَلَّبُ بِهَا عَلَى هَذَا الْخَصْمِ الْجَبَّارِ . فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ : « لَقَدْ أَخْرَجْتَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ شَيْخَنَا يَا إِبْلِيسُ . فَصِفْ لَنَا كَيْفَ أَخْرَجْتَهُ » . فَقَالَ

إبليس : « هذا لا يحتاج إلى وصف . إنك تعلم جيداً أني أخرجته عن طريق امرأته حواء ، وسوست لها فأغوت آدم فأكل من الشجرة المحرمة فكان ذلك سبب طرده من الجنة » . فقال الشيطان الماكر : « إذن عليك بامرأة أيوب يا أبليس ، وسوس لها عسى أن تغوى بذلك زوجها فيطرده الله من رحمته » .

وانطلق إبليس من فوره إلى امرأة أيوب . وتمثل في زي رجل مليح وقال لها : « أين زوجك يا هذه ! » فقالت له : « هو هذا المريض المهزول الذي تراه أمامك » فقال لها : « ولكن هذا لا ميت فينعى ولا حي فيرجى . لماذا تضيعين شبابك وجمالك في خدمته ؟ » وجعل إبليس يذكرها بما كان لها من المال والولد . وما كان لزوجها أيام شبابه من الصحة والجمال . فملأت الذكرى قلبها غماً وحزناً . فتركت إبليس ومضت إلى زوجها وجعلت تقول له : « حتام يعذبك ربك ؟ لقد ذهب المال ، وهلك العيال ، وجفانا القريب والبعيد » . وكانت تبكي وهي تقول ذلك . فقال لها

أَيُّوب بِصَوْتِهِ الضَّعِيفِ : « لَقَدْ سَوَّلَ لَكِ الشَّيْطَانُ أَمْراً . أَرَاكِ تَبْكِينَ عَلَى عِزٍّ فَاتَ وولدماتَ » . فَقَالَتْ : « هَلاَّ دَعَوْتَ اللهَ فَيَكْشِفَ حُزْنَكَ وَيُزِيحَ بَلْوَاكَ ؟ » فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهَا قَالَ : « كَمْ سَنَةً مَكَثْنَاهَا فِي الرَّخَاءِ ؟ » قَالَتْ : « ثَمَانِينَ » . قَالَ : فَكَمْ سَنَةً مَكَثْنَاهَا فِي البَلاءِ ؟ » قَالَتْ « سَبْعًا . » قَالَ : « فَأَسْتَحِي مِنَ اللهِ أَنْ أَسْأَلَهُ لِيَرْفَعَ عَنِّي بَلاَءَ سَبْعِ سِنِينَ وَقَدْ كَانَ مَتَّعَنِي بِرَخَاءِ ثَمَانِينَ عَامًا . وَلَكِنْ يُخَيَّلُ لِي أَنَّ إِيمَانَكِ قَدْ بَدَأَ يَضْعُفُ ، وَأَنَّ قَلْبَكِ قَدْ أَخَذَ يَضِيقُ بِقَضَاءِ اللهِ . وَلَئِنْ بَرِئْتُ لَأَضْرِبَنَّكِ مِائَةَ سَوْطٍ ، وَحَرَامٌ عَلَيَّ بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ آكُلَ مِنْ يَدَيْكِ طَعَاماً أَوْ أَشْرَبَ شَرَابًا . اغْرُبِي عَنِّي حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولًا » .

(٥)

وَلَمَّا رَأَى أَيُّوبُ أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ وَحِيداً فَرِيداً وَقَدِ اشْتَدَّتْ آلاَمُهُ وَتَضَاعَفَتْ أَسْقَامُهُ ، فَزِعَ إِلَى اللهِ لَا مُتَبَرِّماً بِقَضَائِهِ وَلَكِنْ خَاضِعًا دَاعِيًا وَقَالَ :

« رَبِّي إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » . فَاسْتَجَابَ لَهُ اللهُ وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنِ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ يَتَفَجَّرْ لَكَ نَبْعٌ مِنَ الْمَاءِ فَاشْرَبْ وَاغْتَسِلْ » . فَمَا شَرِبَ وَاغْتَسَلَ حَتَّى شَمِلَتْهُ الْعَافِيَةُ وَعَادَ إِلَيْهِ شَبَابُهُ . وَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ تُعَاوِدُهُ ، فَأَنْكَرَتْهُ أَوَّلَ الْأَمْرِ ثُمَّ عَرَفَتْهُ بَعْدَ تَأَمُّلٍ . وَلَمَّا عَرَفَتْهُ عَانَقَتْهُ وَحَمِدَتْ إِلَيْهِ اللهَ عَلَى مَا رَدَّهُ عَلَيْهِ مِنْ صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ .

ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلَى أَيُّوبَ أَنْ خُذْ حُزْمَةً مِنَ الْعُشْبِ وَاضْرِبْ بِهَا زَوْجَكَ ضَرْباً خَفِيفًا رُخْصَةً لَكَ فِي يَمِينِكَ ، رَحْمَةً بِهَذِهِ الْمُؤْمِنَةِ الْمُخْلِصَةِ الَّتِي خَدَمَتْكَ أَيَّامَ مَرَضِكَ وَشَارَكَتْكَ سَرَّاءَكَ .

وَأَحْسَنَ اللهُ جَزَاءَ أَيُّوبَ عَلَى صَبْرِهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ وَرَزَقَهُ أَضْعَافَ مَا كَانَ لَهُ مِنْ بَنِينَ وَبَنَاتٍ .

أَمَّا إِبْلِيسُ فَظَلَّ كَئِيباً مَكْسُوفاً إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْ تَضْلِيلَ أَيُّوبَ .

السِّنْدِبَادُ

(١)

مِينَاءٌ حَدِيثٌ . مِينَاءٌ قَدِيمٌ . مَلاَّح

جَمٌّ . يَمٌّ . أُولِى .

رَكِبْنَا مَرْكَباً لِلْهِنْدِ مِنْ مِينَائِنَا الْبَصْرَهْ
ثَلاَثُونَ ، وَكُلٌّ يَأْمُلُ الْفَوْزَ مِنَ السَّفْرَهْ
وَسَبْعُونَ عِشْرُونَ جَرِيئُونَ أُولُو قُدْرَهْ
لَهُمْ شَيْخٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ بِالْبَحْرِ لَهُ خِبْرَهْ

وَقَالَ الشَّيْخُ : سَيْرُ الْبَحْرِ فِيهِ خَطَرٌ جَمٌّ
إِذَا مَا هَاجَتِ الرِّيحُ وَثَارَ الْمَوْجُ وَالْيَمُّ
فَمَنْ كَانَ جَبَاناً مِنْكُمُ إِنْ حَدَثَ الْغَمُّ
فَلْيَرْجِعِ الآنَ وَلاَ لَوْمٌ وَلاَ ذَمٌّ

فَقُلْنَا : إِنَّنَا طُرًّا عَلَى الْأَهْوَالِ شُجْعَانُ
وَلَا خَوْفَ وإِنْ ثَارَ بِنَا فِى الْبَحْرِ بُرْكَانُ
وَمَا فِينَا لِمَا تَأْ مِرُنَا يَا شَيْخُ عِصْيَانُ
فَكُنْ أَنْتَ أَبَانَا ثُمَّ إِنَّا بَعْدُ إِخْوَانُ

(٢)

سِرْنَا سَبْعَةَ أيام . صَخِبَ يَصْخَبُ . اصْطَخَبَ يَصْطَخِبُ صَخَبٌ . عُبَابٌ . شَعَّ يَشِعُّ . خَفَقَ الطائرُ فى الجو دُوَيْنَ الْأُفْقِ . أَعْلَامٌ

وَسِرْنَا سَبْعَةً فى نَسْمَةٍ تُعْجِبُ هُبَّابَهْ
تَوَسَّطْنَا عُبَابَ الْبَحْرِ والْأَمْوَاجُ صَخَّابَهْ
وَكَانَ الْمَاءُ مَدَّ الطَّرْفِ قَدْ نَشَرَ أَثْوَابَهْ
وَأَمَّلْنَا وُصُولَ الْهِنْدِ والآمالُ كَذَّابَهْ
فَفِى الثَّامِنِ حِينَ الدِّيكُ فى مَرْكَبِنَا صَاحَا
وَقَدْ شَعَّ جَبِينُ الْفَجْرِ فى الظُّلْمَةِ وَضَّاحَا

رَأَيْنا طائِراً يَخْفِقُ فى الأَجْواءِ سَبّاحا
وَقالَ الشَّيْخُ : قَرَّبْنا فهذا البَرُّ قَدْ لاحا

رأَيْنا شاطِئًا يَدْنو دُوَيْنَ الأُفْقِ قُدّامُ
نَضِيراً فَوْقَهُ دَوْحٌ وخَلْفَ الدَّوْحِ أَعْلامُ
تِلالٌ كُلُّها خُضْرٌ عَلَيْها الزَّهْرُ بَسّامُ
وَلِلطَّيْرِ عَلَيْها حِينَ لاحَ الصُّبْحُ أَنْغامُ

(٣)

فارِحُ . جَذْلان . أَضْفَى . غَرَ . يَغُرُّ
دُون الهند أسبوعان . خُبْر . مَعْرِفة
هَتْر . مارَى . يُمارِى . شَتّانَ

رَسَيْنا وكلٌّ فارِحٌ جَذْلانُ مَسْرورُ
وكلٌّ يَبْلُغُ البَرَّ مِلْءَ النَّفْسِ مَحْبورُ
لاحَتْ قُبَّةٌ يَلْمَعُ فى أَرْجائِها النُّورُ
قُلْنا هَذِهِ الهِنْدُ وفيها الخَيْرُ مَوْفورُ

لَقَدْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وإِنَّ الصُّبْحَ قدْ حَيَّا
وقدْ أَضْفَى عَلَى الْأَمْوا جِ لوْناً منْهُ وَرْدِيَّا
وقدْ أَلْبَسَ أَعْلى الرَّوْ ضِ صِبْغاً منْهُ نورِيَّا
وللْفَرْحَةِ ناغَى عِنْدَهُ الْقُمْرِيُّ قُمْرِيَّا

وَقَالَ الشَّيْخُ : لَيْسَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ هِيَ الْهِنْدُ
وَلاَ تَغْرُرْكُمُ الْقُبَّةُ إِذ لم تَصِلوا بَعْدُ
وهذا مَوْضِعٌ خالٍ وفيهِ النِّمْرُ والْأُسْدُ
ودُونَ الْهِنْدِ أَسْبُوعا نِ سَيْرٌ كلُّهُ جِدُّ

وأَمَّا تِلْكُمُ الْقُبَّةُ إِنْ شِئْتُمْ لَهَا خُبْرَا
فَلَيْسَتْ قُبَّةً حَقّاً ولا طِيناً ولا صَخْرَا
وَلَكِنْ بَيْضَةُ الرُّخِّ فَقُلْنا كُلُّنا : عُذْرَا
أَهَذِي قُبَّةٌ يَاشَيْخُ أَمْ تُخْبِرُنا هُتْرَا

فَقَالَ الشَّيْخُ غَضْبَانَ بِصَوْتٍ جِدُّ مَحْزُونِ
لَقَدْ كُنْتُمْ جَمِيعاً قُلْتُمُ سَوْفَ تُطِيعُونِي
وَهَأَنْتُمْ أُولاَءِ الآ نَ سَمْعَ الْأُذْنِ تَحْصُونِي
وَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ حَقّاً فَفِي مَاذَا تُمَارُونِي؟!

فَقُلْنا كُلُّنا : عَفْواً فَهَذِي قُبَّةٌ عَجَبُ
فَقَالَ لَنَا : إِذَنْ هَيَّا لِتَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّيْبُ
فَقَوْلِي وَإِلَهِ الْخَلْقِ لا زُورٌ ولا كَذِبُ
فَقُلْنا كُلُّنا : شَتَّا نَ بَيْضُ الطَّيْرِ وَالْقُبَبُ

وسِرْنا كُلُّنا مَاذَا الَّذِي يَبْدُو عَلَى الرَّمْلِ
عَظِيماً يُشْبِهُ الْقُبَّةَ فِي التَّدْوِيرِ وَالشَّكْلِ

أَهَـذِى بَيْضَةٌ تَبْـدُو لَنا فى الحجْمِ كالتَّلِّ
كَذُوبٌ أَنْتَ يا شَيْخُ يَمِيناً صَـادِقٌ قَـوْلِى

(٤)

هائل . طيش . عَطِبَ يعطَبُ عَطب
قَدُوم . فعلة نكراء . فرَّاس . سَخَا يَسْخُو
شائن . نُكْر . خُبْر . تجربة ومعرفة

أَيا قَوْمِ اسْمَعوا إنَّ الـذِى قَدْ قُلْتُهُ حَقُّ
إِذَنْ فَلْنكْسِرِ الْقُبَّـةَ كَيْما يَظْهَـرَ الصِّـدْقُ
أَلَا لَا تَفْعَلوا ذَلِـك فَهْوَ الطَّيْشُ والحُمْقُ
فإِنَّ الرُّخَّ طَيْـرٌ ها ئِـلٌ أَنْيابُهُ زُرْقُ

وقُلْتُ لَهُمْ : أَطِيعُوا الشَّيْـخَ قالوا : إنَّه كَذَبَا
فَإِنْ تَـكُ بَيْضَةً حَقًّا كَسَرْنَاهَا ، فَوَاحَرَبَا
لَكُمْ إِنْ قَدِمَ الرُّخ لَسَوْفَ يُذِيقُكُمْ عَطَبَا
وقُلْتُ لَهُمْ : أَطِيعُوا الشَّيـخَ قالوا : الشَّيْخُ لَا قَرُبَا

أَطِيعُونِي أَطِيعُونِي وَهَيَّا نُبْحِرُ الآنَا
فَإِنْ كَسَرْتُمُ الْبَيْضَةَ جَاءَ الرُّخُّ غَضْبَانَا
فَقَالُوا : هَاتِ يَاشَيْخُ عَلَى قَوْلِكَ بُرْهَانَا
فَقَالَ الشَّيْخُ : قَدْ ضِعْنَا فَيَا مَوْلَايَ غُفْرَانَا

وَجَاءُوا ذَا بِكَفَّيْهِ قَدُومٌ ثُمَّ ذَا فَأْسُ
وَهَذَا عِنْدَهُ الْقَمْرُ وَهَذَا عِنْدَهُ الرَّأْسُ
فَتَحْتَلِيمٌ وَتَكْسِيرٌ وَقَالَ الشَّيْخُ : يَا نَاسُ
فَعَلْتُمْ فَعْلَةً نُكْرَا ءَ إِنَّ الرُّخَّ فَرَّاسُ

وَلَمَّا كَسَّرُوا الْبَيْضَةَ حَتَّى ظَهَرَ الْفَرْخُ
تَنَادَوْا صَدَقَ الشَّيْخُ أَلَا قَدْ صَدَقَ الشَّيْخُ
وَكَذَّبْنَاهُ لَمَّا كَا نَ بِالنُّصْحِ لَنَا يَسْخُو
فَيَا بُؤْسًا لَنَا ضِعْنَا إِذَا أَدْرَكَنَا الرُّخُّ

وَقَالَ الشَّيْخُ : قَدْ جِئْتُمْ بِفِعْلٍ شَائِنٍ نُكْرِ
وَكَذَّبْتُمْ مَقَالِي إِنَّنِي بِالْبَحْرِ ذُو خُبْرِ

فَهَيَّا الْآنَ هَيَّا الآ نَ يَا قَوْمِي إِلَى الْبَحْرِ
لَعَلَّ اللهَ يُنْجِينَا مَتَى الرِّيح بِنَا تَجْرِي

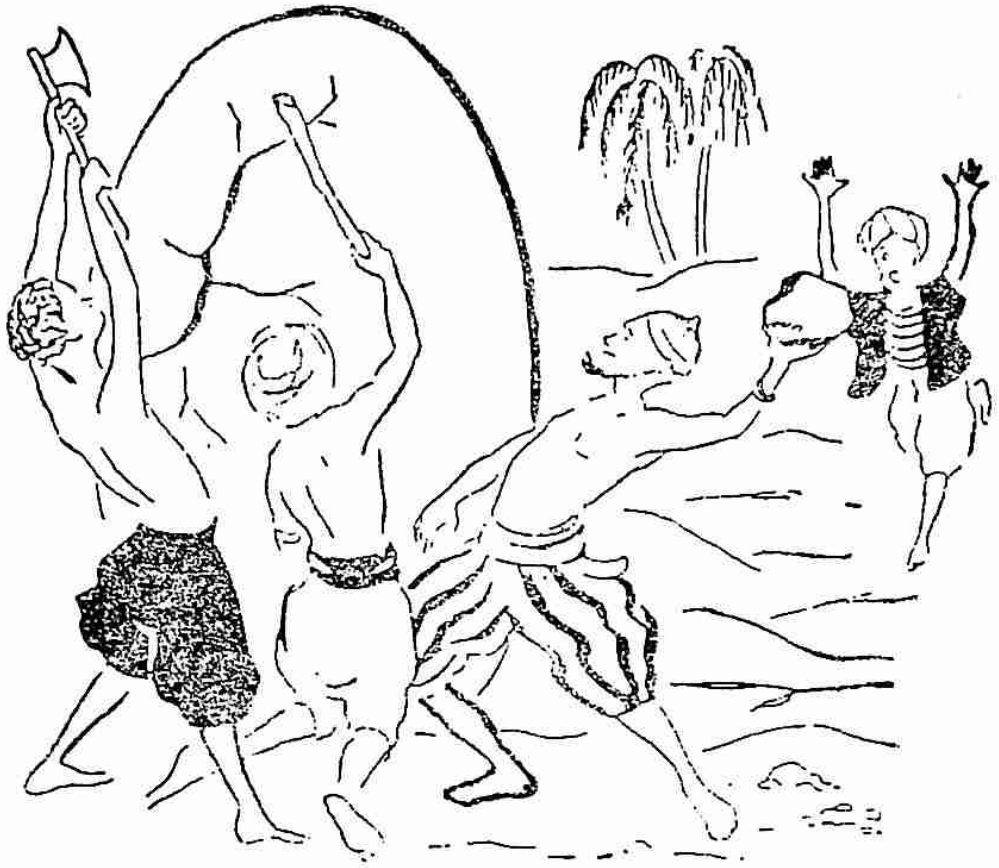

(٥)

أَجِدَّ السَّيْرَ . يُجِدُّ السَّيرَ . خبال . السَّادر اللاهى
صَهْ . ما إِنْ . طخاةٌ . طَخَا . جُنْح الليل

وَأَطْلَقْنَا شِرَاعَيْنَا مَعَ الرِّيح مُجِدِّينا
وَقُلْنَا : عَلَّ رَبَّ الْعَزْ شِ مِنْ ذا الرُّخَّ يُنْجِينا

وَقُلنا : إِنَّنَا مِنْ بَعْدِ لِلشَّيْخِ مُطِيعُونَا
عَصَيْنَاه ضَلالاً وَ خَبالاً وَهْوَ يَهْدِينَا

وَلَمَّا غَابَ عَنَّا الْبَرُّ قُلْنَا الْحَمْدُ لِلّٰهِ
نَجَوْنَا قَدْ نَجَوْنَا لَيْسَ عَنَّا اللّٰهُ بِالسَّاهِي
وَقَدْ شَعَّ عَلَى الْبَحْرِ أَصِيلٌ نُورُهُ زَاهِي
فَغَنَّيْنَا مِنَ الْفَرْحَةِ فِعْلَ السَّادِرِ اللَّاهِي

فَقَالَ الشَّيْخُ : صَهْ صَمْتاً ! أَلاَ قَدْ وَجَبَ الصَّمْتُ !
سَوَادَانِ يَلُوحَانِ بَعِيداً ؛ إِنَّهُ الْمَوْتُ
لَقَدْ أَدْرَكَنَا رُخَّا نِ ما إِنْ مِنْهُمَا فَوْتُ !
صَمَتْنَا ، لَمْ تَكُنْ هَمْهَمَةٌ مِنَّا وَلاَ صَوْتُ

صَمَتْنَا كُلُّنَا نَنْظُرُ فِي خَوْفٍ إِلَى الْأُفْقِ
سَوَادَانِ يَلُوحَانِ بَعِيداً جِهَةَ الشَّرْقِ
وَهَدْرٌ يُشْبِهُ الرَّعْدَ وَلَمْعٌ شَبَهُ الْبَرْقِ
« أَهَاتَانِ طَخَاتَانِ ؟ » « نَعَمْ يَا مَعْشَرَ الْحُمْقِ

طَخْطَاتَانِ تَسُوقَانِ إِلَيْكُمْ أَجَلاً تَمَّا
هُمَا رُخَّانِ » « يَاشَيْخُ أَحَقًّا مَا ، أَحَقًّا مَا
تَقُولُ لَنَا ؟ » نَعَمْ وَاللهِ يَا بُؤْسَى وَيَا غَمَّا »
وَلَاحَ لَنَا جَنَاحٌ مِثْلُ جُنْحِ اللَّيْلِ إِذ عَمَّا

وَمِنْ خَلْفِ جَنَاحَانِ مَهُولَانِ عَظِيمَانِ
وَعَيْنَانِ كَنَارِ اللَّيْلِ مِنْ بُعْدٍ تَشَعَّانِ
وَقَدْ جَاءَا بِهَدْرٍ كَدَوِيِّ الرَّعْدِ رَنَّانِ
وَسَادَ الصَّمْتُ فِي الْمَرْكَبِ يَا لَلْخَطَرِ الدَّانِي

وَجَاءَتْ فَوْقَنَا الرُّخَّةُ فِي مِخْلَبِهَا صَخْرَهْ
فَأَلْقَتْهَا . فَدَارَ الشَّيْخُ فِي دَفَّتِهِ دَوْرَهْ
فَيَا لَلشَّيْخِ مِنْ دَارٍ بِشَأْنِ الْبَحْرِ ذِي خِبْرَهْ
فَأَفْلَتْنَا وَفَارَ الْمَوْجُ مِنْ وَقْعَتِهَا فَوْرَهْ

غَضْبى . وَلْوَال . صَخْرَةٌ نَكْرَاء . كَوْكَبُ الرَّجْم
قَضَاءٌ مَحْتُومٌ . أَحْوَالى . أَوْجال . وَجَلٌ . ذَاتُ إِعْجال
عِزْرِيلُ . عِزْرَائيل . مَنْهوك . الْمَحْضِ . أَلْقَى اللَّيْلُ أَسْتَارَه

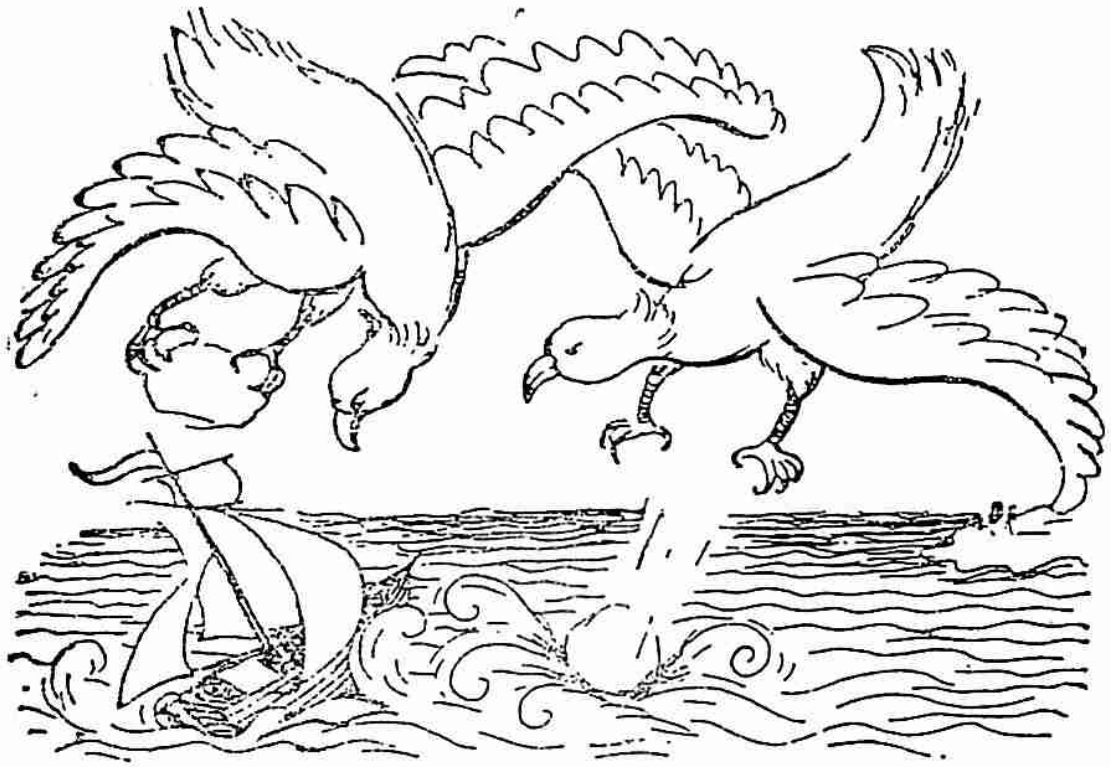

وَثَارَ الْمَوْجُ أَجْبَالًا تَوَالَتْ إِثْرَ أَجْبَالِ
وَصَاحَتْ فَوْقَنَا الرُّخَّةُ غَضْبَى ذَاتَ وَلْوَالِ
صِيَاحًا زُلْزِلَ الْمَرْكَبُ مِنْهُ أَيَّ زِلْزَالِ
وَجَاءَ الرُّخُّ حَتَّى قَابَلَ الْمَرْكَبَ مِنْ عَالِ

غَضَبِي . وَلْوَال . صَخْرَةٌ نَكْرَاء . كَوْكَبُ الرَّجْم
قَضَاءٌ مَحْتُومٌ . أَحْوَالِي . أَوْجال . وَجَلٌ . ذَاتُ إِعْجَالِ
عِزْرِيلُ . عِزْرَائِيل . مَنْهوك . الْمَحْضِ . أَلْقَى اللَّيْلُ أَسْتَارَه

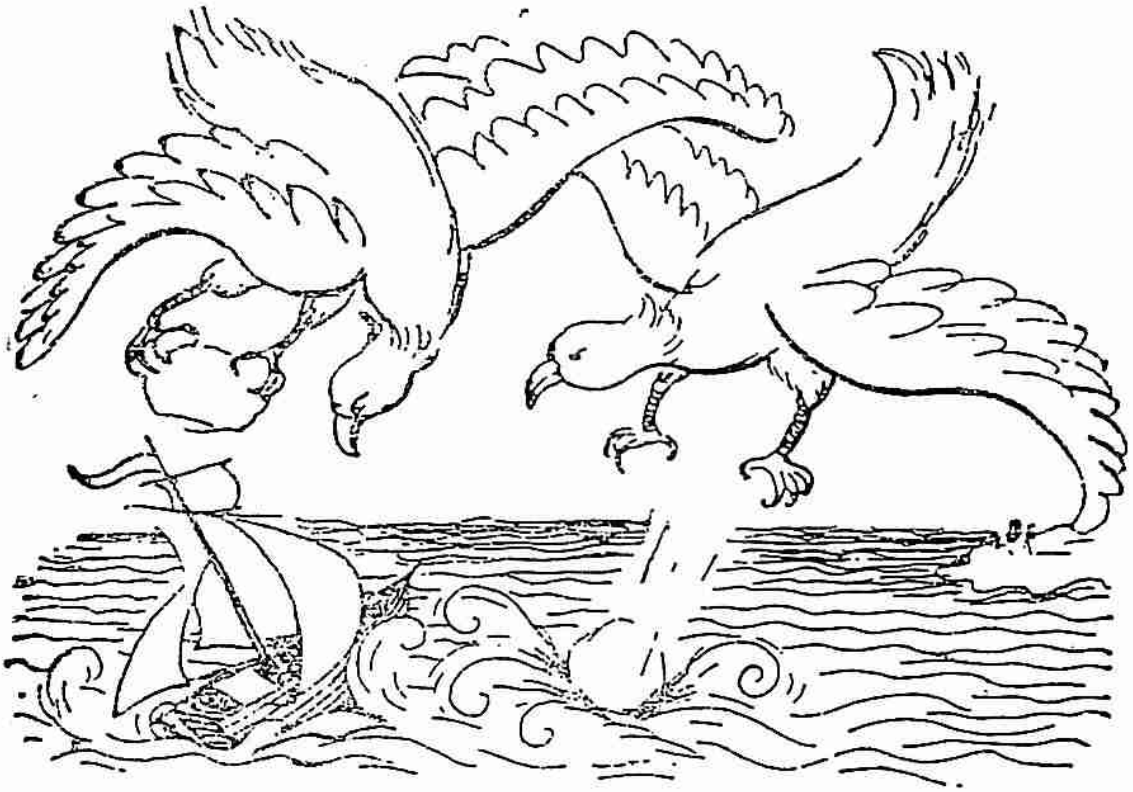

وَثَارَ الْمَوْجُ أَجْبَالًا تَوَالَتْ إِثْرَ أَجْبَالِ
وَصَاحَتْ فَوْقَنَا الرُّخَّةُ غَضْبَى ذَاتَ وَلْوَالِ
صِيَاحًا زُلْزِلَ الْمَرْكَبُ مِنْهُ أَيَّ زِلْزَالِ
وَجَاءَ الرُّخُّ حَتَّى قَابَلَ الْمَرْكَبَ مِنْ عَالِ

سَمَا ثُمَّ أَتَى يَهْوِى إِلَى الْمَرْكَبِ كالسَّهْمِ
وَأَلْقَى صَخْرَةً نَكْرَا ءَ مِثْلَ التَّلِّ فِى الْحَجْمِ
وَدَارَ الشَّيْخُ إِنَّ الشَّيْـخَ بِالْبَحْرِ لَـذُو عِلْمِ
وَلَكِنْ صَخْرَةٌ أُخْرَى تَخِرُّ كَكَوْكَبِ الرَّجْمِ

فَيَا وَيْلاَ لَقَدْ هَشَّمَتِ الْمَرْكَبَ تَهْشِيمَا
لَقَدْ حَطَّمَتِ الدَّفَّةَ وَالْجَانِبَ تَحْطِيمَا
لَقَدْ أَدْرَكَنَا الْمَوْتُ قَضَاءً كَانَ مَحْتُومَا
وَقُلْتُ الْوَيْلُ لِى مَا لِى شَقِىَّ الْحَظِّ مَشْئُومَا

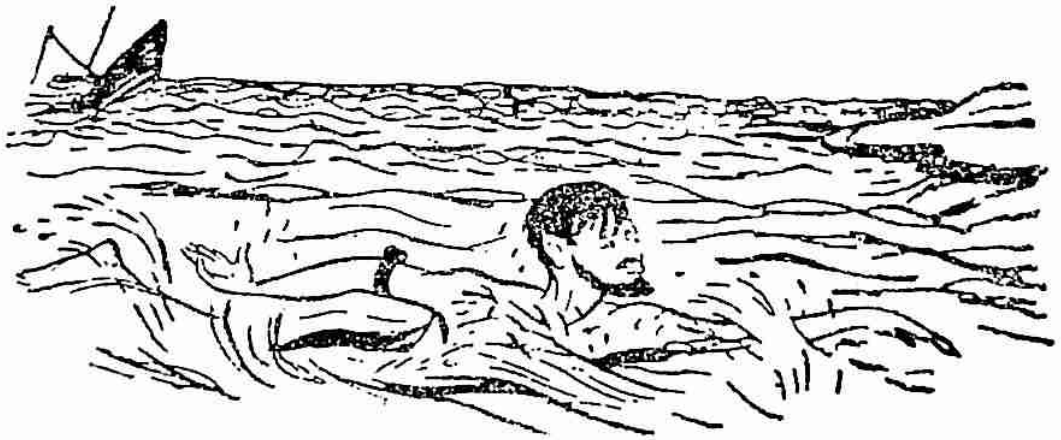

وَأَمْسَكْتُ بِلَوْحٍ طَا فِياً كَانَ عَلَى الْمَاءِ
وَوَالَيْتُ لِرَبِّ الْعَرْ شِ أَسْمَاءً بِأَسْمَاءِ

أَقُولُ أَيَا لَطِيفاً مَا لِكَأْسِ مَوْتِي وَإِبْقَائِي
أَعِدْنِي لِأَرَى أُمِّي وَأَسْعِدْنِي بِإِنْجَائِي

وَأَلْتَفِي اللَّيْلُ أَسْتَارَ ظَلَامٍ ذَاتَ أَهْوَالِ
وَأَمْسَيْتُ وَحِيداً تَهْدِرُ الْأَمْوَاجُ أَحْوَالِي
عَلَى اللَّوْحَةِ وَسْطَ الْبَحْرِ فِي هَمٍّ وَأَوْجَالِ
وَجَاءَتْ مَوْجَةٌ تُزْبِدُ تَحْتِي ذَاتُ إِعْجَالِ

فَتَعْلُو بِي وَتَهْوِي بِي فَمِنْ عَالٍ إِلَى خَفْضِ
وَأَيْقَنْتُ بِأَنْ عِزْرِيلُ قَدْ جَاءَ إِلَى قَبْضِي
وَأَلْقَتْنِي مَنْهُوكاً وَلَا أَدْرِي عَلَى الْأَرْضِ
لَتَدْ نَجَّانِيَ الرَّحْمَنُ رَبُّ الْكَرَمِ الْمَحْضِ

أَبُو الْحَسَن وَهَرُونُ الرَّشِيدُ

مَسْرَحِيَّةٌ

[المنظر الأول]

التَّوَابِلُ . اقْتَرَضَ يَقْتَرِضُ . مَاطَلَ يُمَاطِلُ
مُمَاطَلَة . عُيُونٌ — جواسيس . مَأْتَمٌ
فِكْرَةٌ أَلْمَعِيَّة . فَطِنٌ . فَطِنَة

مُقَدِّمَة

يمثل المسرح لنا بيت أبي الحسن الشاعر في هذا المنظر .
سرير وكرسي صغير . أبو الحسن الشاعر جالس على السرير ؛
وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره .
تدخل نفيسة زوجته وهي فتاة في العشرين من عمرها ،
تقعد على الكرسي .

أبو الحسن : أَيْنَ الغَدَاءُ يا نَفِيسَة ؟

نفيسة : الغَدَاءُ ! الْغَدَاءُ ! أَمَا تَسْتَحِي يا رَجُل ؟
أَمَا تَخْجَلُ عَلَى عِرْضِكَ ؟ الْغَدَاءُ ! مِنْ أَيْنَ

أَصْنَعُ لَكَ الْغَدَاءَ ؟ أَيْنَ الْخُبْزُ ؟ أَيْنَ اللَّحْمُ ؟ أَيْنَ التَّوابِلُ ؟ لَا بَلْ أَيْنَ الْفَحْمُ وَالْحَطَبُ وَالنَّارُ ؟ اسْتَيْقِظْ يَا رَجُلُ وَقُمْ إِلَى عَمَلٍ تَكْتَسِبُ بِهِ شَيْئًا .

الحسن : أَنْتِ نَبَّاحَةٌ صَيَّاحَةٌ لَيْسَ مَعَكِ رَاحَةٌ النِّسَاءُ مِثْلُكِ يَغْزِلْنَ الْقُطْنَ وَيُطَرِّزْنَ

منزل
فصل
خطة المنطقة الثالثة
انظر المسرح تجد منه الامام الى الداخل

الْقُمَاشَ وَيَصْنَعْنَ « الْأَسْبَاتَ » وَلَا يَتَّكِلْنَ عَلَى الرِّجَالِ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

نفيسة : والرِّجَالُ مِثْلُكَ يَخْدِمُونَ بِتَعَبِ الْيَمِينِ وَعَرَقِ الْجَبِينِ ، لَا بِالتَّسَكُّعِ فِي الْبُيُوتْ وَالسُّؤَالِ عَنِ الْقُوتِ . خَيْرٌ لَكَ يَا رَجُلُ أَنْ تَمُوتَ مِنْ هَذَا الْكَسَلِ وَقِلَّةِ الْعَمَلِ . أَمَا تَسْتَحِي يَا إِنْسَانُ ؟ أَتَقْعُدُ فِي الْبَيْتِ مِثْلَ النِّسْوَانِ ؟

« يسمع طرق شديد على الباب »

صوت من الخارج : أَنَا مَسْرُور . افْتَحُوا الْبَاب .

أبو الحسن : « يضطرب » : مَا هَذَا ؟

نفيسة : « خائفة » : مَا هَذَا ؟

« يطرق الباب ويرتفع الصوت » .

صوت من الخارج : أَنَا مَسْرُورٌ . افْتَحُوا الْبَاب . أَنَا مَسْرُورٌ : صَاحِبُ السَّيْفِ الْمَشْهُورِ . افْتَحُوا الْبَاب .

« ينحشر أبو الحسن تحت السرير ويهمس لنفيسة »

أبو الحسن : افْتَحِي الْبَابَ يَا نَفِيسَةُ .

نفيسة : « تهمس » أَنْتَ الرَّجُلُ لَا أَنَا . قُمْ عَلَى الْبَاب وَكُنْ شُجَاعًا .

أبو الحسن : أَنَا خَائِف !!

نفيسة : « تنحشر تحت السرير » أَنَا خَائِفَةٌ أَيْضًا .

قُمْ يَارَجُل .

الصوت : « طرق شديد » افْتَحُوا البَابَ : افْتَحُوا البَابَ .

ابو الحسن : أَيْن نَخْتَفِى ؟

نفيسة : اسْكُتْ يا رَجُلُ وإِلَّا سَمِعَنا هَذَا الشَّيْطَانُ .

الصوت : أنا مسرور . إن لم تفتحوا الباب كسرته .

« يزداد الطرق على الباب »

نفيسة : قم يا رجل وافتح الباب .

أبو الحسن : « ينوم وهو يرتجف » : جئت ، جئت .

« يفتح الباب ... يدخل مسرور وفي يده سيف مشهور »

مسرور : أأنت أبو الحسن ؟

أبو الحسن : نعم ياسيدي صاحب السيف . أدخل هذا السيف من فضلك في جفيره . فأنا خائف منك .

مسرور : خائف ؟ خائف ؟ أنا لا أريدك أن تخاف ولكن ... ارتجف . ارتعد .

ابو الحسن : « يرتجف » ولكن لماذا يا سيدي ؟

مسرور : لماذا ؟ لماذا ؟ « يخرج ورقة من جيبه » أما استلفت من غسال الخليفة عشرين ديناراً ؟

أبو الحسن : نعم .

مسرور : هَلْ رَدَدْتَها ؟

أبو الحسن : لا .

مسرور : أَمَا اسْتَدَنْتَ مِنْ طَبَّاخِ الْخَلِيفَةِ ثلاثين دينارا ؟

أبو الحسن : نَعَمْ

مسرور : هَلْ رَدَدْتَها ؟

أبو الحسن : لا .

مسرور : أَمَا اسْتَعَرْتَ من بَوَّاب الْخَلِيفَةِ أَرْبَعِين دِينَاراً ؟

أبو الحسن : نَعَمْ .

مسرور : هَلْ سَدَّدْتَها ؟

ابو الحسن : لا .

مسرور : أَمَا اسْتَعَرْتَ مِنْ حَجَّامِ الْخَلِيفَةِ خَمْسِين دِينَاراً ؟

ابو الحسن : نَعَمْ

مسرور : هَلْ أَعَدْتَها ؟

مسرور : هَلْ رَدَدْتَها ؟

أبو الحسن : لا .

مسرور : أَمَا اسْتَدَنْتَ مِنْ طَبَّاخِ الْخَلِيفَةِ ثلاثين دينارا ؟

أبو الحسن : نَعَمْ

مسرور : هَلْ رَدَدْتَها ؟

أبو الحسن : لا .

مسرور : أَمَا اسْتَعَرْتَ من بَوَّاب الْخَلِيفَةِ أَرْبَعِين دِينَاراً ؟

أبو الحسن : نَعَمْ .

مسرور : هَلْ سَدَّدْتَها ؟

ابو الحسن : لا .

مسرور : أَمَا اسْتَعَرْتَ مِنْ حَجَّامِ الْخَلِيفَةِ خَمْسِين دِينَاراً ؟

ابو الحسن : نَعَمْ

مسرور : هَلْ أَعَدْتَها ؟

أبو الحسن : لا .

مسرور : أَمَا اقْتَرَضْتَ مِنِّى أَنَا سَيَّافَ الْخَلِيفَ مائةَ دينار ؟

نفيسة : «تعترض» لا .

مسرور : لاَ يَا أَبَا الْحَسَن ؟

أبوالحسن : ن لا لا ن ن عم .

مسرور : هل أَرْجَعْتَهَا ؟

أبوالحسن : لـ لـ لا .

مسرور : هَاتِهَا !

أبو الحسن : ما عِنْدِى ....

مسرور : أَنا لا أُحِبُّ الْكَلاَمَ الْفَارِغَ ... هَاتِهَا .

أبو الحسن : مـا انْتَهَيْتُ ـ كَمَا أَنْتَ عَارِفٌ ـ مِن قَصِيدَتِى ، وعِنْدَما أَنْتَهِى مِنْهَا وأُنْشِدُهَا لِلْخَلِيفَةِ فَسَوْفَ يُعْطِينِى أَلْفَ دِينَارٍ وأُعْطِيكَ مِنْهَا حَقَّكَ .

مسرور : الخليفةُ كَمَا أَنَا عَارِفٌ غَيْرُ فَارِغٍ

لِيَسْمَعَ شِعْرَكَ الْمِسْكِينَ الْهَزِيلَ هَذِهِ الْأَيَّامَ . إِنَّهُ مَشْغُولٌ جِدًّا . وَقَدْ قُلْتَ لِي هَذَا الْكَلَامَ قَبْلَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ . دَعِ الْمُمَاطَلَةَ وَهَاتِ الْمَالَ

أبو الحسن : ما عندي ...

مسرور : سَأَحْضُرُ الْمَغْرِبَ وَإِنْ لَمْ تُعْطِنِي الْمَالَ قَطَعْتُ رَأْسَكَ .

« يواجه مسرور النظارة »

أَنَا سَيَّافُ الْخَلِيفَةِ .

نفيسة : الْحَمْدُ لِلَّهِ ! قَدْ خَرَجَ هَذَا الشَّيْطَانُ .

أبو الحسن : ولكنه سيعود .

نفيسة : لِنَهْرُبْ .

أبو الحسن : أَيْنَ نَذْهَبُ ؟ إِنَّنَا لَا نَجِدُ خُبْزًا نَعِيشُ بِهِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْعَامِرَةِ ، فَكَيْفَ إِذَا خَرَجْنَا مِنْهَا ؟

نفيسة : لِمَاذَا نَخْرُجُ مِنْهَا ؟ نَرْحَلُ إِلَى رَبْعٍ آخَرَ

مِن المدينةِ ، إلى حيٍّ غَيْرِ هَذَا الْحَيِّ .
وَمَسْرُور لَنْ يَعْرِفَ مَكَانَنَا .

أبو الحسن : إنَّه يعرِف كُلَّ مكان فى بَغْدَادَ وعِنْدَه عُيُونٌ يُخبِرونَه بِكُلِّ شَىْءٍ .

نفيسة : ولكن حَتَّى عَلَى فَرْضِ أَنَّه عَرَفَ مَكَانَنَا . فَلَيْسَ لَهُ الحَقُّ أَنْ يَقْتُلَكَ أَوْ يَقْتُلَ أَىَّ إِنْسَانٍ مِنْ دُونِ إِذْنِ الْخَلِيفَةِ .

أبو الحسن : إِنَّهُ غَضْبَانُ . إِنَّهُ مُهْتَاجٌ ...

« يواجه أبو الحسن النظارة »

وإذا قَطَعَ رَقَبَتِى وقَطَعَ الْخَلِيفَةُ رَقَبَتَه بَعْدَ ذَلِكَ ، فَمَاذَا أَسْتَفِيدُ أَنَا ؟ لِنَهْرُبْ ، لِنَهْرُبِ الْآنَ ولنترُكْ بَغْدَادَ .

نفيسة : أَنَهْرُبُ ونُخلِّى مَدِينَتَنَا التى أَلِفْنَاهَا كُلَّ هَذِهِ السِّنِينَ مِن أَجْلِ مَسْرُور ؟ عَجَائب!

أبو الحسن : وَلَكِنْ مَاذَا نَفْعَلُ ؟ نحن مَسَاكِينُ . جِيَاع . وهَذَا الشَّيْطَانُ وسَيْفُهُ ... إنى أَخَافُ من سَيْفِهِ .

نفيسة : «تفكر، ثم تقترب من أبي الحسن»
عندي رأي . اسمع . جاءتني فكرة ألمعية . فكرة بديعة .

أبو الحسن : قولي . تكلمي . ماذا تصنع ؟

نفيسة : أشرقت علي فكرة باهرة نادرة .

أبو الحسن : نفيسة ، قولي ، تكلمي . ما هذه الفكرة ؟

نفيسة : نعم ، أمضي أنا إلى السيدة زبيدة زوجة الخليفة وأقول لها . . .

أبو الحسن : تقولين ماذا ؟ ماذا ؟

نفيسة : إن زوجي أبا الحسن مات .

أبو الحسن : مات ؟ ! ابصقي هذه الكلمة .

نفيسة : أأنت فاهم ؟ أقول لها . . . أدعي لها أنك مت .

أبو الحسن : ابزقي هذه الكلمة .

نفيسة : أدعي دعوى بالكذب ، وأقول لها ليس

عِنْدِي مَا أُكَفِّنُ بِهِ جَسَدَكَ وَلاَ ما أَصْرِفُهُ عَلَى الْمَأْتَمِ .

أبو الحسن : ولكِنْ أَنا حَيٌّ . فَمَاذَا تَقُولُ السَّيِّدَةُ زُبَيْدَةُ إِنْ عَرَفَتْ أَنِّي حَيٌّ .

نفيسة : لَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ . ارْقُدْ فَوْقَ السَّرِيرِ وَتَلَفَّفْ بالثِّيَابِ ، وكُنْ بِلاَ حَرَكَةٍ . بِلاَ حَرَكَةٍ مِثْلَ الْجُثَّةِ الْبَارِدَةِ الهَامِدَةِ . ولَنْ يَعْرِفَ إِنْسَانٌ أَنَّكَ حَيٌّ .

ابو الحسن : جَمِيلٌ ! جَمِيلٌ حَقًّا . ما أَنْبَهَكِ . مَا أَذْكَاكِ . إِنَّكِ أَلْمَعِيَّةٌ فَطِنَةٌ . « يتقدم ويواجه النظارة » وَأَنَا أَيْضاً سَأَذْهَبُ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وأَقُولُ لَهُ إِنَّ زَوْجَتِي ماتَتْ ، وما عِنْدِي ما أُكَفِّنُهَا بِهِ وَلاَ مَا أَصْرِفُهُ عَلَى الْمَأْتَمِ

كلاهما : فَلْنَذْهَبِ الآن .

« ستار »

المنظر الثانى

حَرَم . فَجِيعَةٌ . يُهِيلُ . يَنْخَجُ

« أبو الحسن وزوجته يأكلان ـ يطرق الباب »

ياسمين : يَا سَيِّدَتِى نَفِيسَةُ . أَنَا رَسُولُ السَّيِّدَةِ زُبَيْدَةَ حَرَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، افْتَحِى لِى الْبَابَ .

نفيسة : « تهمس » ارْقُدْ . كُنْ كَأَنَّكَ مَيِّتٌ . لاَ تَتَحَرَّكْ .

تنقل الأكل وتضعه تحت السرير وتجذب أطراف الملاءة لتغطى منظر الأكل ثم تمشى إلى الباب . أبو الحسن يرقد كالميت ويغطى نفسه »

نفيسة : « تفتح الباب وهى تبكى » وَاسَيِّدَاهُ ، وَا أَبَا الْحَسَنَاه . آهِ آهِ . ادْخُلِى . يَاسَيِّدَتِى . وَا أَبَا الْحَسَنَاه . وَا وَجَعَ قَلْبِى ، وَضَيْعَةَ شَبَابِى .

« تدخل ياسمين رسول السيدة زبيدة ومعها عدة بنات »

ياسمين وصواحبها : وَاحَزَنَاه وَا فَجِيعَتَاه . . . « يبكين جميعاً .

ياسمين : « تتقدم لتكشف وجه أبى الحسن » تَعَالَيْنَ يَابَنَاتُ وابْكِينَ عِنْدَ رَأْسِ الْفَقِيدِ ـ تَعَالَيْنَ ، وَافَجِيعَتَاه .

نفيسة : لَا تَكْشِفُوا وَجْهَهُ . « تجرى وتقف بين أبى الحسن وبين النساء » . إِنَّهُ حَلَفَنِى بِرَبِّ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ أَلَا تَرَى وَجْهَهُ امْرَأَةٌ غَيْرِى عِنْدَ مَوْتِهِ . وَافَقْدِى ، وَاحَسْرَتَى ، وَاضَيْعَةَ شَبَابِى .

ياسمين وصواحبها : اكْشِفِى لَنَا رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ وَخَلِّينَا نَبْكِى حَوْلَهُ .

نفيسة : لَوْلَا حَلِفُهُ لَخَلَّيْتُكُنَّ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَقْسَمَ عَلَىَّ بِاللهِ الْعَظِيمِ أَلَّا أَكْشِفَ وَجْهَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ . اسْتَغْفِرْنَ اللهَ وَاسْتَرْجِعْنَ يَا سَيِّدَاتِى . اسْتَغْفِرْنَ وَاسْتَرْجِعْنَ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ـ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .

الرسول : « تمسح دموعها » سَيِّدَتِي اسْتَقْبَلْتِ النُّقُودَ الَّتِي كَانَتْ أَعْطَتْهَا لَكِ وَأَرْسَلَتْ لَكِ هَذِهِ الْمِائَتَيْنِ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَهَذَا « السَّبَتَ » مِنَ الْقُمَاشِ . وَهِيَ تُعَزِّيكِ وَتَسْأَلُ اللهَ الرَّحْمَةَ لِلْفَقِيدِ . عَظَّمَ اللهُ الْأَجْرَ وَجَبَرَ الْكَسْرَ . الْفَاتِحَةَ — « يرفعن أيديهن بالفاتحة »

نفيسة : اسْتَرِحْنَ يَاسَيِّدَاتِي وَاشْرَبْنَ مَاءً بَارِداً .

الرسول : لاَ . نُرِيدُ أَنْ نَرْجِعَ حَالاً لِمَوْلاَتِنَا وَأَنْتِ فِي حَالَةِ حُزْنٍ وَسَيَأْتِيكِ النَّاسُ .

نفيسة : أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدَتِي زُبَيْدَةَ — شُكْراً لَكُنَّ يَاسَيِّدَاتِي . شُكْراً لَهَا ، أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهَا . « يخرجن » .

أبو الحسن : « يقوم من السرير » إِنَّ الْحَرَّ قَدْ قَتَلَنِي . وَصِيَاحَ هَؤُلاَءِ النِّسْوَانِ قَدْ فَتَقَ أُذُنِي — وَنَارُ الْجُوعِ لاَ تَزَالُ تَهْرِي جَوْفِي — أَيْنَ الطَّعَامُ ؟

« تحضر نفيسة الطعام ويقعدان كما كانا أول المنظر ليأكلا — يسمع طرق على الباب »

أبو الحسن : يَا لَلْمُصِيبَةِ ! أَلَا نَأْكُلُ شَيْئاً فِي يَوْمِنَا هَذَا ؟

نفيسة : دَعْنِي أَذْهَبُ وَأَنْظُرُ مِنْ فَوْقِ الْبَابِ . « تنظر وترجع مسرعة » هَذَا مَسْرُورٌ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ عَسْكَرِ الْخَلِيفَةِ وَخَدَمِهِ — أَظُنُّهُمْ جَاءُوا لِتَعْزِيَتِكَ .

أبو الحسن : إِذَنْ فَارْقُدِي مُسْرِعَةً ، وَكُونِي كَأَنَّكِ مَيِّتَةٌ « بسرعة يقوم الطعام تحت السرير وترقد نفيسة كالميتة ويضع ثوباً فوق رأسه ويجرى إلى الباب وهو يبكى »

آه ، آه ! أَنَا الشَّقِيُّ التَّعِسُ ، أَنَا الْمَشْئُومُ يَارَبِّ ! لِمَ أَخَذْتَهَا مِنِّي ؟

« يفتح الباب وهو ينخج »

يدخل مسرور ومعه جماعة العسكر ومعه حجام الخليفة وبوابه وطباخه وغساله »

أبو الحسن : آه آه يَاغَبْنِي .

مسرور : « يسل سيفه » كُنْ صَبُوراً وَإِلَّا قَطَعْتُ رَأْسَكَ .

أبو الحسن : آه آه اقْطَعْ رَأْسِى فَإِنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِى الْحَيَاة بَعْدَ مَوْتِ زَوْجَتِى ـ لَا فَائِدَةَ لَا فَائِدَةَ ، هَاكَ الْحَيَاةَ ـ هَاكَ رَقَبَتِى ـ إِنِّى أَمُدُّهَا لَكَ اقْطَعْهَا الْآنَ .

مسرور : إِنِّى مُتَأَسِّفٌ يَا أَبَا الْحَسَنِ . إِنَّكَ مَحْزُونٌ حَقًّا . أَسْتَغْفِرُ اللهَ . اصْبِرْ اصْبِرْ يَا رَجُلُ .

أبو الحسن : كَيْفَ أَصْبِرُ وَأَنَا الْآنَ مِثْلُ الْيَتِيمِ ؟

مسرور : اقْرَأْ الفَاتِحَة . اصْبِرْ .

العسكر : اصْبِرْ كُلُّنَا مَحْزُونُونَ لِمُصِيبَتِكَ .

مسرور : اقْرَأُوا الْفَاتِحَةَ .

أبو الحسن : يَرْفَعُ يَدَهُ وَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ بِصَوتٍ عَالٍ . اللَّهُمَّ ارْحَمْهَا .

مسرور : أَعْطَانِى مَوْلَانَا الْخَلِيفَةُ مِائَتَىْ دِينَارٍ لَكَ وَقَدْ خَصَمْتُ مِنْهَا مِائَةَ الدِّينَارِ الَّتِى هِىَ نَصِيبِى وَالْخَمْسِينَ الَّتِى لِلْحَجَّامِ وَالْأَرْبَعِينَ الَّتِى لِلْبَوَّابِ وَعَشَرَةً مِنَ

الثَّلاَثِينَ الَّتِى لِلطَّبَّاخِ وَلاَ تَزَالُ مَطْلُوبا بِعِشْرِينَ دِينَاراً .

أبو الحسن : أَقُولُ لَكَ اقْطَعْ رَأْسِى ، اقْطَعْهُ الْآنَ لاَخَيْرَ فِى حَيَاتِى . مَاتَتْ زَوْجَتِى وَهَأَنَذَا مَدِينٌ مَطْلُوبٌ بِعِشْرِينَ دِينَاراً . وَلاَأَسْتَطِيعُ أَنْ أُكَفِّنَ زَوْجَتِى وَلَا أَنْ أُشَيِّعَ جَنَازَتَهَا ـ اقْتُلْنِى يَا مَسْرُورُ .

الغسال : إِنِّى وَهَبْتُ لَكَ العِشْرِينَ دِينَاراً يَا أَبَا الْحَسَن

الطباخ : وَأَنَا وَهَبْتُ لَكَ الثَّلاَثِينَ دِينَاراً .

أبو الحسن : آه آه يَا مُصِيبَتِى . يَا ضَيْعَتِى . اقْتُلُونِى « ويهيل التراب على رأسه » ـ انْظُرُوا إِلَيْهَا ، مَاتَتْ . مَاتَتْ وَخَلَّتْنِى مِثْلَ الْيَتِيمِ .

الحجام : وَأَنَا وَهَبْتُ لَكَ الْخَمْسِينَ يَا أَبَا الْحَسَنِ .

مسرور : أَنْتُمْ لَسْتُمْ خَيْرًا مِنِّى . وَأَنَا وَهَبْتُ لَكَ الْمِائَةَ يَا أَبَا الْحَسَن .

أبو الحسن : أَنَا شَاكِر لَكَ يَاسَيِّدِى . ولكِن مَاذَا أَصْنع بِالدَّنانيرِ . لاَخَيْرَ فِى حَياتِى بَعْدَ سَيِّدَتِى. خُذْهَا أَنْتَ يَا مَسْرُورُ .

مسرور : « يرمى له صرة الدنانير » ـ كلاَّ إِنَّكَ تَسْتَحِقُّها . يَا بَوَّابُ هَاتِ القُماشَ . أَنْتَ مُحْتاجٌ لِمُسَاعَدَةِ مَوْلاَنَا الخَلِيفَةِ هَذِهِ . وسَيَغْضَبُ عَلَيْكَ إِنْ لَمْ تَقْبَلْها .

أبو الحسن : بارِكَ الله فِى مَوْلاَنا الخَلِيفَة سَآخُذُهَا لِتَرْضِيَتِهِ لَا لِشَىْءٍ آخَرَ ، وَلِتَرْضِيَتِكَ أَنْتَ أَيْضًا يَا مَسْرُور . أَنا شَاكِرٌ لَكُمْ . يَا سَيِّدَتى . آه آه يَاحُزْنى . . .

مسرور : خَلُّوا الرَّجُلَ فَإِنَّهُ مِسْكِينٌ مَفْجُوع .

كلهم : رَحِمَها الله وَيُلْهِمُك الصَّبْرَ .

أبو الحسن : آه آه آمِينَ . « يخرجون ـ يلتفت أبو الحسن

إلى زوجته « ، قومي الآن ولْنَأْكُلْ قَبْلَ أَنْ
يَأْتِيَنَا شَيْطَانٌ آخَرُ .

« ستار »

المنظر الثالث

فى قصر الخليفة : الخليفة هرون جالس على الكرسى

تدخل السيدة زبيدة

السيدة زبيدة : هَلْ سَمِعْتَ يَا مَوْلَاىَ بِمَا أَصَابَ أَبَا الْحَسَنِ الشَّاعِرَ ؟

الخليفة : «يقف» نَعَمْ يَا مَوْلَاتِى ـ أَلَيْسَتْ هَذِهِ فَاجِعَةً عَلَيْهِ ؟

السيدة زبيدة : تَقُولُ فَاجِعَةً عَلَيْهِ يَاسَيِّدِى ؟ إِنَّهَا أَكْثَرُ مِنْ فَاجِعَةٍ عَلَيْهِ . إِنَّ الْمِسْكِينَ مَاتَ .

الخليفة : تَفَضَّلِى وَاقْعُدِى يَاسَيِّدَتِى «تقعد على الكرسى» أَظُنُّ أَنَّ الْخَبَرَ لَمْ يَبْلُغْكِ عَلَى صِحَّتِهِ . إِنَّ الَّذِى مَاتَ لَيْسَ هُوَ أَبَا الْحَسَنِ ، إِنَّمَا مَاتَتْ يَاسَيِّدَتِى امْرَأَتُهُ الَّتِى يُقَالُ لَهَا نَفِيسَةُ .

السيدة زبيدة : عَجَبًا عَجَبًا يَا أَبَا الْأَمِينِ ! أَنْتَ الَّذِى لَمْ يَبْلُغْكَ الْخَبَرُ عَلَى صِحَّتِهِ ، أَنَا عَلَّىَ

بَيِّنَةٍ أكيدَةٍ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ قَدِ اسْتَأْثَرَ بِهِ اللهُ إِلى رَحْمَتِهِ ، وَبَقِيَتْ زَوْجَتُهُ الصَّالِحَةُ نَفِيسَةُ أَرْمَلَةً بَعْدَهُ . يَا لَهَا

مِسْكِينَةً ، اخْتُضِرَ مِنْهَا وَهِيَ لا تزَالُ فِي نَضَارَةِ شَبابِهَا .

الخليفة : أَنَا مُتَأَكِّدٌ . هَوِّنِي عَلَيْكِ يَا سِتُّ . أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ حَيٌّ وَأَنَّ زَوْجَتَهُ هِيَ الَّتِي احْتُضِرَتْ .

السيدة زبيدة : أَرَاكَ تُغَالِطُنِي عَبَثاً يَا أَبَا الْأَمِينِ . إِنِّي بَعَثْتُ خَادِمَتِي الْأَمِينَةَ يَاسِمِينَ وَرَأَتْ أَبَا الْحَسَنِ بِعَيْنِهَا مَيِّتاً وَعَزَّتْ زَوْجَتَهُ عَنْهُ .

الخليفة : بَلْ أَنْتِ الَّتِي تَعْبَثِينَ يَا أُمَّ جَعْفَرٍ فَأَنَا بَعَثْتُ مَسْرُوراً وَقَدْ رَأَى بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ زَوْجَةَ أَبِي الْحَسَنِ مَيِّتَةً ، وَوَجَدَ أَبَا الْحَسَنِ يَبْكِي وَيُوَلْوِلُ — مَسْرُور .

« يدخل مسرور وينحنى أمام الخليفة

مسرور : نَعَمْ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ .

أَلَمْ تَذْهَبْ مُنْذُ قَلِيلٍ إِلَى بَيْتِ أَبِي الْحَسَنِ؟

مسرور : أَجَلْ يَا سَيِّدِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

الخليفة : أَخْبِرْ مَوْلَاتَكَ مَاذَا رَأَيْتَ ؟

مسرور : سَيِّدَتِي وَنُورَ عَيْنِي ، إِنِّي ذَهَبْتُ قَبْلَ

سَاعَةٍ إِلَى مَنْزِلِ أَبِي الْحَسَنِ خَادِمِكِ الشَّاعِرِ الْبَائِسِ فَوَجَدْتُهُ يَوْلُولُ وَيَبْكِي وَعِنْدَهُ زَوْجَهُ الشَّابَّةُ جَنَازَةً مُلَفَّفَةً .

السيدة زبيدة: إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ .

مسرور : أُقَبِّلُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَايَ مَا أَخْبَرْتُكِ إِلَّا حَقًّا .

السيدة زبيدة: إِيَّاكَ وَأَنْ تَكُونَ اتَّفَقْتَ مَعَ مَوْلَايَ أَنْ تُخْبِرَنِي هَذَا الْخَبَرَ .

الخليفة : احْلِفْ لِسَيِّدَتِكَ بِحَيَاتِهَا يَا مَسْرُورُ .

مسرور : أُقْسِمُ بِحَيَاتِكِ يَا مَوْلَاتِي أَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ

السيدة زبيدة: إِنَّكَ أَقْسَمْتَ بِحَيَاتِي يَا مَسْرُورُ . وَأَنَا أُقْسِمُ بِحُرْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِحَيَاتِي إِنْ وَجَدْتُكَ كَاذِبًا فِي كَلَامِكَ قَطَّعْتُكَ إِرْبًا إِرْبًا وَحَرَّقْتُكَ وَذَرَّيْتُكَ مَعَ الرِّيحِ .

يَاسَمِينُ .

« تدخل ياسمين وتقبل الأرض بين يدى الخليفة »

ياسمين : نَعَمْ سِتِّي .

السيدة زبيدة : أَخْبِرِى سَيِّدَكِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا رَأَيْتِهِ فِى بَيْتِ أَبِى الْحَسَنِ .

ياسمين : سَيِّدِى أَبَا الْأَمِينِ ، حُسَامَ الدِّين ، سَلِيلَ الْعَبَّاسِ ، الْأَسَدَ الْهِرْمَاسَ ، سَلِيلَ أَبِى جَعْفَرٍ ، اللَّيْثَ الْغَضَنْفَرَ ، الْمَيْمُونَ الْمُظَفَّرَ ، صَاحِبَ الْكُرْسِىِّ والمِنبَرِ ، خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ ، وأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

الخليفة : تَكَلَّمِى واخْتَصِرِى .

ياسمين : أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ وأَدَامَ سَنَاءَكَ . أُقَبِّلُ . النَّسِيمَ الَّذِى يُطِيفُ بِالْبِسَاطِ الَّذِى مَسَّتْهُ قَدَمَاكَ الطَّاهِرَتَانِ . كُنْتُ قَبْلَ سَاعَةٍ فِى مَنْزِلِ زَوْجَةِ أَبِى الْحَسَنِ . . .

مسرور : كَانَتْ مَيِّتَةً حِينَئِذٍ .

ياسمين : مَوْلَاىَ خَادِمُكَ يُقَاطِعُنِى .

الخليفة : اسْكُتْ يَا مَسْرُورُ ودَعْهَا تَتَكَلَّمْ .

ياسمين : أُقْسِمُ يَا سَيِّدِى بِأَبِيكَ الْمَهْدِىِّ وجَدِّكَ

الْمَنْصُورِ وجدِّكَ مُحَمَّدِ الْإِمَامِ وجَدِّكَ
حَبْرِ الْأُمَّةِ كَاشِفِ الْغُمَّةِ ، عَبْدِ اللهِ بْنِ
عَبَّاسٍ ، وجَدِّكَ الزَّيْنِ ، نَاصِرِ الْإِسْلَامِ
فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ ، وبِغُرَّةِ بَنِي هَاشِمٍ نَبِيِّ
اللهِ أَبِي الْقَاسِمِ ، وبِجِبْرِيلَ الَّذِي جَاءَ
بِالتَّنْزِيلِ ، وبِرَبِّ الْكُرْسِيِّ والْعَرْشِ
والسَّمَوَاتِ والْأَرْضِ ، وبِحَيَاةِ مَوْلَاتِي ،
وبِحَيَاتِكَ يَا تَاجَ الْمُسْلِمِينَ وقَاهِرَ
الْكَافِرِينَ ، أَنِّي رَأَيْتُ بِعَيْنَيْ رَأْسِي
أَبَا الْحَسَنِ جَنَازَةً مَلْفُوفَةً ، وامْرَأَتُهُ
قَائِمَةٌ تَبْكِي ، وبَكَيْتُ مَعَهَا أَنَا وفَتَيَاتِي .

مسرور : إِنَّكِ كَاذِبَةٌ . إِنَّ الْخَلِيفَةَ سَيَأْمُرُنِي أَنْ
أَقْطَعَ رَأْسَكِ وأَكْتُمَ أَنْفَاسَكِ . الْحَقَّ
الصُّرَاخَ وإِلَّا فَاسْتَعِدِّي لِلْأَجَلِ الْمُتَاحِ .

ياسمين : سَيِّدِي ومَوْلَاي ، خَادِمُكَ هَذَا قَلِيلُ
الْأَدَبِ يُكَذِّبُنِي أَمَامَكَ وأَمَامَ سِتِّ
وَيُهَدِّدُنِي بِقَطْعِ رَقَبَتِي .

السيدة زبيدة : لِمَاذَا تُقَاطِعُ خَادِمَتِى يا مَسْرُورُ . إِنَّها قَالَتِ الحَقَّ وأَنْتَ الْكَاذِبُ والْمُسْتَحِقُّ لِلْعُقُوبَةِ الصَّارِمَةِ - يَا مَوْلاَىَ هَرُونُ مَاذَا أَنْتَ مُنْتَظِرٌ بِهِ . عَجِّلْ بِقَطْعِ رَأْسِهِ .

مسرور : سَيِّدَتِى ، أَنْتِ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ . ولَكِن خَادِمَتُكِ هَذِهِ هِىَ الْكَاذِبَةُ الشَّقِيَّةُ . وأَنَا أُنَادِى لَكِ مَنْ كَانُوا مَعِى وَهُمْ يَشْهَدُونَ بِمَا رَأَيْتُهُ . خَادِمَتُكِ هَذِهِ ذَاتُ لِسَانٍ ثَرْثَارٍ وتَلْفِيقٍ فِى الْأَخْبَارِ .

ياسمين : أَلِىَ تَقُولُ هَذا يَا مَسْرُورُ ؟ واللهِ لَوْلاَ حَضْرَةُ مَوْلاَىَ وحُضُورُ مَوْلاَتِى لَأَخْبَرْتُكَ بِحَقِيقَتِكَ .

مسرور : اُسْكُتِى أَيَّتُهَا الدَّسَّاسَةُ .

ياسمين : أَنَا دَسَّاسَةٌ ؟ يا شَيْطَانُ ، يَا جوْعَةَ رَمَضَانَ ، يَا فَرْثَ الضَّانِ ، سَتَرى بِعَيْنِكَ أَنَّ كَلاَمِى صِدْقٌ وسَوْفَ تَتَبَيَّن

كَثْرَةَ كَذِبِكَ وَقِلَّةَ أَدَبِكَ ، وَأَرْجُو أَنْ تُقَطِّعَكَ مَوْلاَتِى إِرْباً إِرْباً .

« تخرج ياسمين ويخاطبها مسرور وهى خارجة »

مسرور : بَلْ أَرْجُو أَنْ أَقْطَعَ رَأْسَكِ بِسَيْفِى هَذَا لأَنِّى رَأَيْتُ زَوْجَةَ أَبِى الْحَسَنِ جَنَازَةً لاَحَرَاكَ بِهَا ـ أَسْتَاذِنُ مَوْلاَىَ لأُنَادِى الطَّبَّاخَ وَالْغَسَّالَ وَالْبَوَّابَ وَالْعَسْكَرَ الَّذِين كَانُوا مَعِى لِيُخْبِرُوهُ الْحَقِيقَةَ

« يخرج »

السيدة زبيدة: سَتَرَى صِدْقَ قَوْلِى .

الخليفة : وَأَنْتِ سَتَرَيْنَ قَوْلِى .

السيدة زبيدة: وَمَاذَا إِنْ كَانَ قَوْلُكَ أَنْتِ لاَ أَسَاسَ لَهُ مِنَ الْحَقِيقَةِ .

الخليفة : وَمَاذَا إِنْ كَانَ قَوْلُكِ أَنْتِ لاَ أَسَاسَ لَهُ مِنَ الْحَقِيقَةِ .

السيدة زبيدة: أُقْسِمُ بِتُرْبَةِ أَبِى أَنِّى سَأُعْطِيكَ أَلْفَ لُؤْلُؤَةٍ وَأَلْفَ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ إِنْ كَانَ

مَا تَقُولُهُ هُوَ الصَّوَاب .

الخليفة : هَذَا لَا يَكْفِى ، فَإِنِّى غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى الْمَالِ .

السيدة زبيدة : إِذَنْ فَمَاذَا تُرِيدُ ؟

الخليفة : لِنَذْهَبْ كِلَانَا الْآنَ إِلَى أَبِى الْحَسَنِ لِنَرَى الْحَقِيقَةَ بِأَعْيُنِنَا . وإِذَا كَانَ قَوْلِى هُوَ الصَّوَابَ وقَوْلُكِ هُوَ الْكَاذِبَ فَإِنِّى سَأُطَلِّقُكِ

« تسقط زبيدة مغشياً عليها . الخليفة ينظر إلى النظارة »

أَنَا هَرُونُ الرَّشِيدُ .

« ستار »

المنظر الرابع

فى بيت أبى الحسن

أبو الحسن : لِنَشْتَرِ غَداً خَرُوفَيْن وَنَصْنَعْ وَلِيمَةً لِجَمِيعِ أَصْحَابِنَا فَعِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ مَا يَكْفِينَا مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ .

نفيسة : أَقُولُ لَكَ دَعْ هَذَا التَّبْذِيرَ . إِنَّ هَذَا الْمَالَ سَيَضِيعُ كَمَا ضَاعَتْ قَبْلَهُ أَمْوَالٌ وَأَمْوَالٌ بِسَبَبِ تَبْذِيرِكَ - رَأْيِى أَنْ نَخْرُجَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَنَشْتَرِىَ أَرْضاً هُنَالِكَ وَنَقُومَ بِعَمَلٍ نَكْتَسِبُ مِنْهُ .

أبو الحسن : أَنْتِ تُحِبِّينَ التَّعَبَ . رَبُّنَا رَزَقَنَا أَمْوَالاً وَمَلابِسَ تَكْفِينَا سِنِينَ . فَلِمَاذَا نَتْعَبُ وَنَشْتَرِى أَرْضاً وَنَزْرَعُهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِى لَا تُنَاسِبُنَا ؟

نفيسة : اسْمَعْ كَلامِى يَا رَجُلُ . إِنَّكَ قَدْ أَضَعْتَ مَالاً كَثِيراً لَوْ لَائِمِكَ وَإِسْرَافِكَ . وَفِى

هٰذِهِ الْمَرَّةِ قَدِ انْتَهَتْ كُلُّ حِيَلِنَا ؛ وإِذَا أَفْلَسْنَا فَلَيْسَ عِنْدَنَا حِيلَةٌ نَمْشِي بِهَا لِلْخَلِيفَةِ أَوْ لِلسِّتِّ زُبَيْدَةَ ، لأَنَّهُمَا يَحْسِبَانِ أَنَّنَا مَيِّتَانِ ؛ وزِيادَةً عَلَى ذَلِكَ ، إِذَا قَعَدْنَا فِي هٰذِهِ الْبَلْدَةِ فَلاَ بُدَّ أَنْ يَسْمَعَا أَنَّا حَيَّانِ وَلاَ بُدَّ أَنْ يَطْلُبَانَا وَيُعَاقِبَانَا عَلَى الْكَذِبِ . خَيْرُ طَرِيقَةٍ أَنْ نَحْفَظَ مَالَنَا وَنَهْرُبَ وَنَشْتَرِيَ بِهِ أَرْضاً فِي الْبَصْرَةِ وَنَتَّخِذَ جُنَيْنَةً نَخِيلٍ نَتَعَيَّشُ بِهَا . وأَنْتَ تُغَيِّرُ اسْمَكَ وأَنَا أُغَيِّرُ اسْمِي وَلاَ يَعْرِفُنَا إِنْسَانٌ ، وَيَسْتَمِرُّ الْخَلِيفَةُ وَالسَّيِّدَةُ زُبَيْدَةُ يَحْسِبَانِ أَنَّا مَيِّتَانِ .

أبو الحسن : لاَ لاَ . أَنَا إِذَا خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ مِتُّ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ . خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَعِيشَ هُنَا . وإِنْ سَمِعَ بِنَا الْخَلِيفَةُ أَوِ السِّتُّ زُبَيْدَةُ ادَّعَيْنَا لَهُمَا الْجُنُونَ أَوِ اخْتَرَعْنَا أَيَّ عُذْرٍ نَنْجُو بِهِ . وَلِمَاذَا لاَ نُغَيِّرُ اسْمَيْنَا هُنَا فِي بَغْدَادَ وَنَرْحَلُ مِنْ هٰذَا الْحَيِّ إِلَى

حَيٍّ آخَرَ لَا يَعْرِفُنَا فِيهِ النَّاسُ .

نفيسة : وَمَنْ لَا يَعْرِفُكَ يَا أَبَا الْحَسَن ؟ كُلُّ النَّاسِ فِي بَغْدَادَ يَضْرِبُونَ بِكَ الْمَثَلَ فِي الْكَسَل.

أبو الحسن : أَنْتِ عَجِيبَةٌ غَرِيبَةٌ يَا مَرَه . لَمَّا كُنَّا فُقَرَاءَ لَا مَالَ لَنَا كُنْتِ تَصِيحِينَ فِي وَجْهِي وَتَقُولِينَ كَسْلَانُ ، وَتَنِقِّينَ وَتَطِنِّينَ مِثْلَ الْبَعُوضِ . وَالْآنَ وَقَدْ صِرْنَا بِحَمْدِ اللهِ أَغْنِيَاءَ ، أَلَا تَسْكُتِينَ وَتَحْمَدِينَ رَبَّكِ ؟ دَعِينَا نَشْتَرِ خَرُوفاً وَنَصْنَعْ وَلِيمَةً ثُمَّ نَغَنِّ وَنَرْقُصْ فِي هَذِهِ الْوَلِيمَةِ.

إِنَّ رَبَّ النَّاسِ يُعْطِي وَعَطَايَاهُ جَزِيلَه
أَنْفِقِي الْمَالَ إِذَا كَا نَتْ بِهِ النَّاسُ بَخِيلَه
إِنَّ حِفْظَ الْمَالِ عَارٌ وَالنَّدَى أَعْلَى فَضِيلَه

نفيسة : إِنَّ حِفْظَ الْمَالِ عَزْمٌ . أَيُّهَا الْمَرْءُ الْكَسُولُ
قَدْ نَهَى اللهُ عَنِ التَّبْذِيرِ وَالْهَادِي الرَّسُولُ
فَلْنَسِرْ هَيَّا إِلَى الْبَصْرَةِ وَاتْرُكْ مَا تَقُولُ
حَيْثُ نَشْرِي مَنْزِلًا مِنْ حَوْلِهِ يَنْمُو النَّخِيلُ
ثُمَّ نَحْيَا فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ لَيْسَ يَزُولُ

أبو الحسن: أَيُّهَا الْمَرْأَةُ مَا كَانَ نَعِيمٌ لِيَدُومْ
فَانْفِقِي الْمَالَ وَأَعْطِي مِنْهُ ذَا الْفَقْرِ الْعَدِيمْ
وَارْقُبِي مِنْ رَبِّكِ الرَّحْمَةَ وَالْفَضْلَ الْعَظِيمْ
وَاتْرُكِي الْبُخْلَ فَأَهْلُ الْبُخْلِ يَصْلَوْنَ الْجَحِيمْ

« أصوات أبواق من الخارج »

نفيسة: اسْكُتْ يَا أَبَا الْحَسَنِ. إِنَّنِي أَسْمَعُ بُوقَ السَّيِّدَةِ زُبَيْدَةَ وَبُوقاً آخَرَ يُصَوِّتَانِ فِي الشَّارِعِ

أبو الحسن: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا ؟

« طرق على الباب »

صوت من الخارج: افْتَحُوا الْبَابَ أَنَا يَاسَمِينُ ذَاتُ الْوَجْهِ الْحَسِينِ. افْتَحُوا الْبَابَ لِنُورِ الْأَنْوَارِ وَقَمَرِ الْأَقْمَارِ، سَيِّدَةِ النِّسَاءِ، وَحَفِيدَةِ الْخُلَفَاءِ أَمِيرَةِ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ زُبَيْدَةَ بِنْتِ جَعْفَرٍ.

نفيسة: « تحرك عدة البيت » كُنْ مَيِّتاً يَا أَبَا الْحَسَنِ، الْتَفَّ فِي ثِيَابِكَ وَبِئْسَمَا أَفْتَحُ الْبَابَ. لِمَاذَا يَاتُرَى جَاءَتْ بِنَفْسِهَا ؟ كُنْ مَيِّتاً، كُنْ جَنَازَةً، لَا تَتَحَرَّكْ « تمشى نحو الباب »

صوت آخر : افْتَحُوا الْبَابَ أَنَا مَسْرُورٌ ذُو السَّيْفِ الْمَشْهُورِ، افْتَحُوا الْبَابَ لِطَاوُوسِ الْخِلَافَةِ، وَأُسْطُوَانَةِ الْكَوْنِ، وَقُطْبِ الدَّائِرَةِ، وَنَقِيبِ الشَّرَفِ، وَرَيْحَانَةِ الْمُلْكِ، سَيِّدِ مَا بَيْنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى بِلَادِ الصِّينِ، وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَظِلِّ اللهِ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي عَبْدِاللهِ هَرُونَ بْنِ الْمَهْدِيِّ الرَّشِيدِ.

أبو الحسن : كَيْفَ أَمُوتُ أَنَا يَا مَجْنُونَةُ ؟ تَعَالَى مُوتِي أَنْتِ فَهَذَا الْخَلِيفَةُ نَفْسُه قَدْ جَاءَ

نفيسة : أَمَا سَمِعْتَ صَوْتَ يَاسَمِينَ . وَالسَّيِّدَةُ زُبَيْدَةُ أَيْضاً قَدْ جَاءَتْ . لَقَدْ سُقِطَ بِنَا لَقَدْ وَقَعْنَا . مَاذَا نَصْنَعُ ؟

أبو الحسن : أَقُولُ لَكِ : لِنَمُتْ كِلَانَا ، مُوتِي . كُونِي جَنَازَةً عَلَى السَّرِيرِ ، وَأَنَا أَيْضاً ، أَكُونُ جَنَازَةً عَلَيْهِ إِلَى جَانِبِكِ .

(كل واحد منهما يثب على السرير . ويدعي أنه ميت

صوت ياسمين: افتَحوا الْبَابَ .

صوت مسرور : افْتَحُوا الْبَابَ

صوت الخليفة: اكْسِرُوا الْبَابَ إِنْ لَمْ يُجِبْكُمْ أَحَدٌ .

« يكسرون الباب ويدخل جماعة مسرور وجماعة ياسمين أمامهم السيدة زبيدة والخليفة »

« لافتة مكتوب عليها : ميتان تماماً »

الخليفة : عَجَباً عَجَباً . إِنِّى أَرَى جَنَازَتَيْن هُنَا .

السيدة زبيدة : هَذَا مَالا يَكُونُ . أَتَحْسَبُ أَنَّهُمَا كِلَيْهِمَا مَيِّتَانِ !

مسرور : عَجَباً يَا سَيِّدِى إِنَّهُ مَيِّتٌ .

ياسمين : عَجَباً يَا سِتِّ . إِنَّهَا مَيِّتَة .

الخليفة : عَجَباً عَجَباً . فَأَيُّهُمَا إِذَنْ مَاتَ قَبْلَ صَاحِبِهِ !

مسرور : لا أدرى .

السيدة زبيدة : هَذِهِ غَرِيبَةٌ . حَقًّا أَيُّهُمَا مَاتَ قَبْلَ صَاحِبِهِ .

ياسمين : لَا أَدْرى .

الخليفة : أُقْسِمُ بِعِزَّةِ أَبِي وَبِالْخِلَافَةِ الْعَظِيمَةِ وَبِحَيَاتِي أَنَّ مَنْ يُبَادِرُ وَيُخْبِرُنِي بِالْحَقِيقَةِ فَلَهُ عِنْدِي جَائِزَةٌ عَظِيمَةٌ .

السيدة زبيدة : وَأُقْسِمُ بِعِزَّةِ أَبِي وَبِحَيَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مَنْ يُبَادِرُ وَيُخْبِرُنِي بِالْحَقِيقَةِ فَلَهُ عِنْدِي أَيْضاً جَائِزَةٌ عَظِيمَةٌ . أَلْفُ دِينَارٍ .

« سكون شامل »

« يثب أبو الحسن ويتجه نحو الخليفة . وتكون نفيسة فى هذه اللحظة فوق السرير تحاول أن تخلص نفسها من تحت الغطاء »

أبو الحسن : « يرفع إصبعه » أَنَا أُخبرُكَ بالْحَقِيقَةِ يا مَوَلَاىَ .

الخليفة : « ينظر مندهشاً ثم يضحك ويقهقه » يَالَكَ مِنْ عِفرِيتٍ مَاكِرٍ .

« تكون نفيسة فى هذه اللحظة قد نهضت من سريرها واقتربت من السيدة زبيدة ولكن صوتها لا يسمع وسط قهقهة الخليفة »

السيدة زبيدة : « لنفيسة » : يَا لَكِ مِنْ عِفْرِيتَةٍ مَاكِرَةٍ .

الخليفة : هَلُمَّ الجَائزَةَ .

« النساء اللاتى مع السيدة زبيدة يزغردن بصوت عال »

« ستار »

الكلمات

إسلام عُمَر

فتىً : شابٌّ أو ولد. المُثَنَّى: فَتَيَانِ، وَالجمع: فِتْيان وفِتْيَةٌ.

أنا من فِتيان قومى : أنا من شُجْعانِ قومِي .

كان عُمَرُ من فِتْيانِ قُرَيشٍ : كانَ مِنْ شُجْعَانِهِمْ .

فُلانٌ فَتَى القوم : شُجاعُهم وفارِسُهم .

فَتّى فى مثل هذه الجُمَل، تقريباً، مثل قولنا فى الكلام العامى « أخو بنات وضكر » .

قريش: القبيلةُ التى مِنها النبى صلى الله عليه وسلم وكانت تسكنُ مَكَّةَ فى الزَّمَنِ القَدِيمِ .

حَديدٌ : الحديد مَعْدِنٌ مَعروف .

وكلمة « حَديد » تستعمل صفة . نقول : سَيْفٌ حَديدٌ : حادّ وسَنِين . ونقول: رَجُلٌ حَدِيدٌ : سَريع الغَضَب. ونقول : هَذا إنْسَانٌ حَديدُ اللِّسَانِ : كلامُهُ مُرٌّ وجَوابُهُ حاضِرٌ ونقولُ هُوَ حَديدُ القَلْبِ: هوذَكِىٌّ وحَسَّاس . ونقول : هو حديد الطَّبْعِ : سَرِيعُ الغَضَبِ .

وَجَمَ : سَكَتَ من غَيْظٍ أو حَزَن . تقول : كانَ فُلانٌ يتكلَّمُ بصَوْتٍ عالٍ فلَطَمْتُهُ على وَجْهِهِ فوَجَمَ يَعْنِي سَكَتَ فى غَيْظٍ ودَهْشَة .

الفعل المضارع : يَجِمُ . وفُلانٌ واجِمٌ يعنى هو ساكِتٌ فى حَيْرَةٍ أو غَضَب .

لَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ وَفَاةِ والدتِهِ وَجَمَ وجوماً شديداً ثمَّ بَكَى

هَوِّنْ عَلَيْكَ : باللغة العامية « اصْبُر . اتْمَهَّل »

بَالى : اهْتَمَّ . أنا شُجاع لا أُبالِى بالأَسَدِ إن لاقَيْتُهُ .

يَالَ : هذه كلمة تستعمل فى التعجب . مثلاً : يا لَحُسْنِ الزَّرْعِ ! يا لَكَ مِنْ وَلَدٍ بليدٍ !

شَجَّ يَشِجُّ : شَجَّنى أَخِى بالْعَصَا أى ضَرَبَنى بالعصا فجرحنى ، ضَرَبْتُه على أمِّ رَأسِهِ فَشَجَجْتُهُ شَجَّةً قبيحةً .

رَقَأَ : رَقَأَ الدَّم يعنى جَمَدَ . المضارع : يَرْقَأُ ، وجُمودُ الدَّم اسْمُهُ رُقُوءُ الدَّم .

تَلابيب : تقول : قَبَضْتُ على تَلابيبِ فُلانٍ وأَمْسَكْتُ بتلابيبِ فُلانٍ يَعْنِى أَمْسَكْتُ به من خِناقه .

لا بأس : كلمة تستعمل أحياناً بمعنى : « معليش »
وأحياناً بمعنى : « ما بطّال » .

لا بأس عليكَ : « ما تخاف » و « الله يُوَالِيكَ بعافية » .

بَلَى : نعم، وتجيء دائماً في جواب النفي: ألم تذهب إلى السوق؟ بلى، يعني ذهبتُ إلى السوق .

وَيْل : وَيْلٌ لَكَ كلمة تهديد .

حَفْرُ زَمْزَم

دوحة : شجرة كبيرة : الجمع دَوْحٌ ودَوْحَاتٌ .

سيدنا بلال

أَنْدَى صَوْتاً : أي أحسن ، تقول فلان صاحب صوت أندى من صوتك يعني ألطف وأحسن .

ناصع : تقول هذا الشيء أبيض ناصِعٌ : يعني أبيض جدًّا . وأصفرُ ناصع : يعني أصفر جدًّا . وتقول كلامُ فُلانٍ واضح ناصع يعني بيِّن ظاهرٌ .

العَنَزَة : الحَرْبَة الصغيرة . والعصا الطويلة التي يحملها الإمام وقت الخُطْبة يُسَمِّيها الناس عَنَزَة . وفي الزمان السابق كانتْ تُحْمَلُ حَرْبَةٌ أَمَامَ الإمام، وتلكَ الحَرْبة كانتْ تُسَمَّى العَنَزَة .

من أخلاقِ الجَمَلِ

تَرَبَّص : انْتَظرَ لِغَرَض . تقولُ : رَأَى قط فأراً فتربّص له عند ركن من أركان الجدار . فلما اقتربَ هَجَمَ عَلَيْهِ .

وتقول : ضَرَبَنى خالدٌ وكان أكبرَ منى . فتربَّصْتُ به حتَّى كان غافِلاً يَوْماً مِنَ الأيام وحَذَفْتُه بحَجَرٍ على رَأْسِهِ فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً .

انبثق يَنْبَثِق : انْبثَق الماء وتَفَجَّرَ من الْحَجَر لَمَّا ضَرَبَهُ سَيِّدنا مُوسَى بِعَصَاهُ . فَاضَ ونَبَعَ .

خِلَال : صِفات . المفرد : خَلّة .

المِشْفَر : شَفَةُ الْبَعير .

الْمَزايا : الصِّفاتُ الحَسنة . المفرد مَزِيَّة .

الكنز القاتل

(١)

أَلْفَى : أَلْفَى يُلْفِى : وَجَدَ يَجِدُ

قَالَ : قَالَ يَقِيلُ : اسْتَراح وقْتَ الظُّهْر واستراحةُ الظهر اسمها الْمَقِيل، والمستريح وقْتَ الظُّهر اسمه «قائل».

لَبِثَ : لَبِثَ فى شندى شَهْراً : مَكَثَ فى شَنْدِى شَهْراً.
لَبِّثْ قَلِيلاً : تَمَهَّلْ.

(٢)

هَمَسَ : تَكلّم بِصَوْتٍ خَفِىٍّ. المُضارِع يَهْمِس : باللّغة العامية « يُوَسْوِس والْهَمْس يعنى الكلام « بالراحة » .

الْوِزْر : الجريمة والخطيئة . الجمع أَوْزار .

خُطَّة . الجمع خُطَطٌ . خُطَّةٌ أَثِيمَةٌ : أَمْرٌ أَثيم، تَدْبِيرٌ مُجْرِمٌ .

(٣)

حَبَّذَا : حَبَّذَا الكلامُ الطيِّبُ : يعنى أنى أُحِب الكلام الطيب، أو الكلام الطيب شىء جميلٌ حسنٌ.

حَبَّذَا اللعبُ : يعنى اللعب محبوب جميلٌ .

الْجُرْم : الجريمة .

(٤)

الصَّيْدَلِى : بائع الأدوية .

نُيوب . جمع ناب : باللغة العامية « نايب » .

فَرَى : مَزَّقَ وهَرَدَ والمُضارِعُ يَفْرِى

وَكْس : رَخيصٍ : تقول هذا الشىء وَكْسٌ . يعنى حقير وبخس .

(٥)

جُنْدَل : رَمَى على الأرض ، وتستعمل أحياناً بمعني قُتل .

وفى قصة الكتاب معناها : طرحاه على الأرض وقتلاه .

أَباد : أَهْلَكَ ، المضارعُ : يُبيدُ

بَادَ : هَلَكَ

مبيد : مُهْلِكٌ

الناسك وإبليس

أَصْغَى إلى : استمع . المضارع يُصْغِى .

ناسك : رجل عابد .

الصومعة : بيت الناسك .

ألاَ : قَصَّر . المضارع يألو . مَا أَلَوْتُ فى عَمَلِى معناها : ماقَصَّرتُ . فُلاَن لا يألو جُهْداً فى المذاكرة : لا يُقَصِّر.

جَثَم : جَثَمْتُ على صَدْرِ عَلْوِىّ : قَعَدْتُ على صَدْرِه لأُوذِيَهُ أوأقْتُلَه . المضارع : يَجْثُم بضم الثاء ويجثِم بكَسْرِ الثاء كلاهما صحيح فصيح .

مزهُوٌّ بنفسه : مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ .

أَيُّوب

بَطِر : تكبَّر من أجل الغنى أو النعمة . المضارع : يَبْطَرُ .

أَبْطَرَته النعمة : جَعَلَتْهُ يتكبَّر صيَّرَتْ قَلْبَه خفيفاً . مُضارع أبطر : يُبْطِرُ .

رَدَعَ : زَجَرَ ونَهَى . المضارع يَرْدَعُ .

أتَان : حمارة والجمع أُتُن .

شَفَا : طَرَف . تَقُول وقف فُلاَن على شَفَا حُفْرَةٍ فَسَقَطَ .

حُطَام الدُّنيا : يعنى المال . لأنَّ الدنيا زائلة ، والمال من ذهب وفضة وغنم وإبل كله يذهب وتُحَطِّمُه الأيام .

الناطق والصامت : الناطق المال الحى مثل الضأن والمعزى والبقر ، والصامت مثل النقود

يكاد يَتَمَيَّز من الغيظ : يَقْرُبُ أن ينشقَّ من الغيظ .

شَحِبَ : تَقُولُ شَحِبَ لونه يعنى تَغَيَّر من التعب أو الجوع أو المرض، بفتح الحاء، وشَحِبَ فلان يعنى صار ضعيفاً ضامراً من مرض أو تعب.

نعى : نَعَيْتُ له أباه: كَلَّمْتُهُ أَنَّ أباه ماتَ، المضارع يَنْعَى

عَزَبَ يَعْزُبُ: بَعُدَ يَبْعُدُ.

السِّنْدباد

مَلاَّح : بَحَّار.

يَمّ : بحر أو نهر

صَخَب : صَوَّتَ.

اصطخب : صَوَّت صوتاً شديداً. اصطخبت أمواج البحر: هاجت وضرب بعضها بعضاً وصار لها صوت شديد.

عُباب البحر: مَوْجُه العظيم ولُجَّه.

دُوَيْنَ الأفق: بالعامية "بيجاى للسما أو للأفق".

أَعْلاَم : جمع عَلَم أى جبل.

جَذْلان : فَرِح.

مَسْتِر : كلامٌ فارغ وكاذب.

مارَى : جادَلَ.

شتّان : تقول شَتّانَ السَّماءُ والارض يعنى بالعامية "وين السما من الأرض "

عَطِبَ يَعْطَبُ : هَلَكَ يَهْلِكُ .

العَطَبُ : الهلاك أو الضرر العظيم .

قَدُوم : يعنى « قَدّوم » بالعامية . الجمع . قدُم

فَرّاس : مُفْتَرِس .

خُبْرٌ : مَعْرِفة أو تجربة .

السَّادِر : الذى لا يبالى .

صَهْ : اسكتْ .

جُنحُ الليل : ظلام الليل .

غَضْبَى : شديدة الغضب .

ولوال : ولولة .

كوكب الرَّجم : هو النجم الذى يطير فى السماء أحمر وتُرْجم به الشياطين وإذا سقط على الشيطان أحْرَقَهُ

أحْوَالى : حَوالَىَّ .

أوجَال : مخاوف . المفرد : وَجَل أى خوف .

ذاتُ إعجال : مُسْرِعة .

المَحْض : الصافى الخالص غير المخلوط .

مأتم : المأتم جماعة النساء ، وتطلق الكلمة على مجامع النساء فى حالات الحزن وعند وفاة الميت .

فَطِنٌ : ذَكِىٌّ . فَطِنَ فلانٌ للأمْرِ : تَنَبَّهَ له . لم أَفْطَن لِلِّص عندما تَسَلَّلَ فى بَيْتِنا .

أَلْمَعِىّ : هذا رَجُلٌ أَلْمَعِىٌّ أى ذكىٌّ جدًّا .

اخْتَضَر : اخْتَضَرْتُ الغصن قطعتُه وهُوَ أَخْضَرُ . اخْتُضِرَ فُلانٌ : مَاتَ شابًّا .

الْعَبَث : ضِدُّ الْجِدّ . عَبِثَ فُلانٌ يَعْبَثُ .

النَّدى : الكرم

رَقَب : انتظر .

يرْقُبُ : ينتظر .